



مراجعة كتابات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

محرم 1443 هـ - أغسطس 2021

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الشعراء الذين استلموا جزيرة العرب في قصائدهم الشاعر والرحالة الأمريكي بيزر تيلر Bayard Taylor 1825-1878. زار العديد من مناطق الشرق، منها مصر وفلسطين، والهند، والصين، واليابان. من مؤلفاته في الرحلات: A Journey to Central Africa; or, Life and Landscapes from Egypt to the Negro Kingdoms of the White Nile, 1854.

استلهم تيلر مدينة إزم التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بكونها (إزم ذات العماد) التي لم يخلق مثلها في البلاد). والتي أثبتت الحضريات الحديثة بأنها مدفونة في منطقة شمس، في ظفار.

يقول في قصيدة «جنة إزم» من الأعمال الشعرية 1907، ص 67-68:

لقد رأيت جنة إزم،

وجدتها، صفة،

دون سبيل أو دليل،

وجدت البقعة المشحورة،

بوابتها الذهبية الواسعة وقفت مفتوحة على مداها.

كنت يافعا، وقويا، وشجاعا، وحرا

كهمر نجدني ناصع البياض،

والدم في عروقي كان كمنسج الكرم،

يتور، ويهتاج، و لن يتوقف

حتى تتنفس الأزهار بالثبيد

وتنرف آخر قطرة من بلسمها اللينذ.

لم أشهد في حياتي إلا الرماح أو السهام،

حتى اكتشفت هذا المكان في عمق الصحراء،

حيث تفتت بوابات إزم الرائعة

أبهرتها على أرض مجهولة.

في هذه الأسقف اللؤلؤية والعاجية،

في موسيقى الأبواب الماسية،

يفضي كل منها إلى مجد جديد،

في هذه الروود وعنفوانها الذي فاق

الجمال الربيعي لكستان،

والزهور الفارسية الرائعة.

في التخييل ذات العذوق الفضية،

والتيجان المرصعة بالزمرد الأغز؛

الأقواس المزركشة،

وأكايل الزهور الرقيقة، والخفيفة

يكاد يحملها التسييم.

وفوق هذا في السواري المعلقة

والقباب المزينة بالنجوم الفضية،

والجواهر المحلاة بالزخرفة النادرة،

في الأبراج الذهبية السامقة كأمدة النار،

والمضينة في صباح خصب بالألوان؛

كمن يضطج على حافة مرمرية لحمام مبهج

في طمأنينة وسكون،

لا يحرك شيئا حتى أطراف أصابعه

خشية أن تفلت منه أحلامه السعيدة،

كذلك استرخيت على صدر إزم.

أحلى من الحياة وأقوى من الموت

كانت كل أنفاسي السعيدة؛

أدفا من صيف جاء وهجم في فيضان هائل

إلى قلب هتي،

وأرسل دمه الجسور والفياض

لسقاية العالم بتدفقه المستمر.

هناك، حيث تقبع جنة إزم،

تكون جذور شجرة الفردوس،

وسعداء هم الذين يجلسون تحتها،

حين ينفخ الله في هذا العالم من النزاع والموت

نفضته الأخيرة.

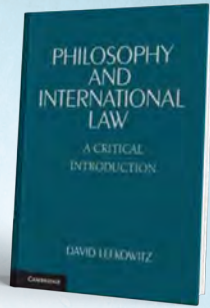
١. كستان منطقة في فارس شرق بحر قزوين، وتعني جنة الورد، وهي أيضا عنوان لديوان الشاعر حافظ الشيرازي.



التقلبات: العوالم الناشئة والاحتمالات المرغوبة... جيروم باشي



الدين المدني في أمريكا... روبرت بله



الفلسفة والقانون الدولي مدخل نقدي... ديفيد ليفكوفيتش



قراءة إسلامية... تحرير: تي. كيه. إقبال



استراتيجيات الازدهار في عالم لا يرحم... دان بريزنيتز



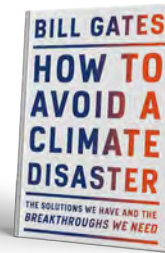
في تاريخ العالم: الدول، الأسواق والحروب... جوليو سابيلي



ما بعد الرأسمالية وولادة الطبقة الاجتماعية للشخصيات... ديمتري دافيدوف



علم اقتصاد جيد للأوقات العصيبة... إستير دوفلو وأبهيجيت بانيرجي



كيف نتجنب كارثة مناخية... بيل جيتس



التنوير بوصفه عملية مفتوحة... ماري- لويزا فريك



أن تكون مسلما في الخطاب الأمني الألماني إيمان عطية وآخرون

إصدارات عالمية جديدة





الفلسفة والقانون الدولي مدخل نقدي ديفيد ليفكوفيتش

محمد الشيخ *

لم يقض لمبحث فلسفة الحق والقانون أن يزدهر، منذ تأسيسه في القرنين الثامن والتاسع عشر، مثلما هو مزدهر في أيامنا هذه؛ إذ التأليف فيه بالمئات والمجلات والنشرات حوله بالعشرات... وكُنَّ كان الاهتمام الأول، في هذا المبحث، قد دار على قوانين كل أمة أمة، فإن قوانين الأمم باتت تشكل اليوم أحد أهم مناحي بحث فلسفة القانون. وفي هذا الكتاب، يفحص أستاذ الفلسفة بجامعة ريتشموند، والمؤسس المنسق لبرنامج «الفلسفة والاقتصاد والسياسة» بهذه الجامعة، والأستاذ الزائر بجامعة برينستون، وبالأكاديمية البحرية بجامعة سنغافورة القومية، ديفيد ليفكوفيتش، القضايا الجوهرية التي تطرحها فلسفة القانون بخاصة والفلسفة السياسية بعامه؛ وذلك من خلال تفكير نقدي يقض في أمر القانون الدولي.

له بما يجري في العالم وتنظيماته القانونية. ومن هنا تنجلي أهمية الكتاب في فتح نقاش كوني، لا قومي، حول القانون؛ أي في طرح مسألة القانون لا في إطار قانون قومي، وإنما في سياق قانون كوني؛ بحيث يضيف بعد المقارنة إلى البحث في طبيعة القانون ومعياريته.

الغرض الثاني: إيلاف القراء مع الأعمال الحديثة التي أنجزها فلاسفة القانون والسياسة في شأن القضايا التصورية والخلقية الخاصة بمجال القانون الدولي. مثلا، حين النظر الفلسفي النقدي في قانون حقوق الإنسان الدولي، كيف يتعين علينا أن نفهم مفهوم «حقوق الإنسان»؟ وقس على ذلك مفهوم «الجريمة ضد الإنسانية»، و«قانون الحرب». إذ تساءل الفلاسفة المعاصرون عما إذا أمكن تسويق هذا القانون من الناحية الأخلاقية، وعن التجارة الدولية: هل يتوجب على القانون الدولي أن يشجع التجارة الحرة أم التجارة المنصفة؟ وعما إذا كان غياب نظام قانوني دولي للانفصال المعلن من طرف واحد يدل على خلل أخلاقي في ممارستنا للحكامة العالمية؟

الغرض الثالث: تحقيق تقدم في النقاش الدائر على جملة المواضيع المتطرق إليها بين دفتي هذا الكتاب.

مبنى الكتاب ومعناه

لا يخفي المؤلف أنه ينتصر في هذا الكتاب إلى أنظار هارت في القانون الدولي ضد قراءات أخرى لفلاسفة قانون ومنظرين للقانون الدولي معاصرين، كما يقدم قراءة لفلسفة دوركين في القانون الدولي من شأنها. في زعم المؤلف، أن تكسبه مناعة ضد مختلف الردود عليه. فضلا عن أنه يوفر حججا جديدة للنقاشات الدائرة على الفهم الخاص لمعنى «الجريمة ضد البشرية»، وللأسس الأخلاقية للقضاء الدولي، وللعلاقة بين الأخلاق وقانون الحرب، وللتسوية الأخلاقية للقانون الدولي المتعلق بانفصال طرف انفصالا أحادي الجانب. والكتاب برمته دائر على شقين: شق متعلق بالنقاش حول مشروعية القانون الدولي، والشكوك المبررة حول هذه المشروعية. والشق الثاني دائر على فحص فلسفي معاصر لأنظمة قوانين دولية معينة

مشروعية القانون الدولي، الفصل السابع: قانون حقوق الإنسان الدولي: مفاهيم حقوق الإنسان وأسسها، الفصل الثامن: قانون الحرب وعلاقته بأداب الحرب، الفصل التاسع: القانون الجنائي الدولي: الجرائم ضد الإنسانية والقضاء الدولي، الفصل العاشر: القانون الدولي والانشقاق، الفصل الأخير: القانون التجاري الدولي: التجارة الحرة والتجارة العادلة والتجارة في الخيرات المنهوبة؛ فضلا عن جغرافيا وكشاف بالأعلام والاصطلاحات ...

أغراض الكتاب

في مدخل الكتاب، يشير المؤلف إلى أنه يسعى إلى خدمة أغراض ثلاثة: الغرض الأول غرض عام يتمثل في إيناس القارئ بأهم الأسئلة التي تطرح في فلسفة القانون، والتي تدخل في صلب الفحص الفلسفي لطبيعة القانون ومعياريته: ترى، ما القانون؟ وما الذي يميزه بوسمه ممارسة اجتماعية معيارية عن سائر الممارسات الاجتماعية الأخرى؟ وما الذي يجعل عبارة شأن «يتوفر هذا المجتمع على نظام شرعي (قانوني)» عبارة محققة أو عبارة مبطلّة؟ وهل وجود القانون رهين بالقسر الذي يمارس باسمه، أم بنوع المؤسسات، أم بالمحاكم، أم بالامتثال إلى بعض القواعد الإجرائية أو الجوهرية، أم بمعايير أخلاقية؟ ولماذا يا ترى؟ وما طبيعة هذا الارتهان؟ وما الذي يكونه القانون في جماعة معينة أو في حالة بعينها؟ وما هي شروط صدق عبارات نظير هذه: «فعلك هذا انتهاك للقانون» أو هذه: «لاحق لك في منح هذا الكتاب»؟ وهل من الواجب طاعة القانون لا شيء إلا لأنه القانون؟ وكيف نميز بين القانون واللاقانون؟ والحال أن من شأن تدبر هذه الأسئلة ونظيرها كثير تدبرا فلسفيا أن نقاد إلى التفكير في القانون القومي الخاص بنا، على أن التفكير الفلسفي يتعين عليه أن يقودنا إلى مراجعة اعتقادنا بأن دولتنا تملك نظاما قانونيا حقا. ذلك أن ألفتنا بنظام قانوني معين عادة ما تحجب عنا بعض الحدود؛ إذ تجعلنا هي لا نميز بين سمات القانون بعامه والسمات الخصوصية المتعلقة بنظام قانوني بعينه. كما تجعل، بالتبع، من العسير طرح أسئلة من نوع آخر؛ لا سيما لمن لا أنسة

ومؤلف الكتاب يبدأ من حيث البداية. أن يكون المرء «جذريا» إنما معناه أن يعتبر الأمور من «جذرها». وجذر الأمور إنما هو السؤال: ترى، هل القانون الدولي قانون حقا؟ وقبل هذا وذاك، ما الذي يجعل من القانون الدولي قانونا؟ وهل وجود هذا القانون رهين بالتنفيذ القسري له، أم بمؤسسات شأن المحاكم الدولية، أم بالوفاء بمطلب حكم القانون؟ أم بمدى مطابقتها للمعايير الخلقية؟ ثمّة من يشكك في القانون الدولي، وثمرّة من يرتاب في أمره، وثمرّة من يحترق في شأنه؛ والنتيجة المترتبة عن ذلك طرح التساؤل العريض الطويل: أفهل يمكن يا ترى

الدفاع، من الوجهة الأخلاقية، عن القانون الدولي؟

يعلن المؤلف أن غرضه الأول، من هذا الكتاب، إنما هو أن يوفر للقارئ المهتم مدخلا مجديا إلى بعض أهم القضايا المطروحة في فلسفة القانون والسياسة، والدعوة إلى ممارسة الحكامة العالمية التي يشير إليها الجميع باسم القانون الدولي. كما يتغيب هذا الكتاب أن يحيط النظر بالنقاشات الدائرة اليوم على طبيعة حقوق الإنسان وأسسها، وعلى التسوية الأخلاقية لقانون الحرب، وعلى مفهوم الجريمة ضد الإنسانية، وعلى الأساس الأخلاقي للتحكيم الدولي، وعلى مدى عدالة القانون التجاري الدولي ..

هذا ويتكون هذا الكتاب من مدخل وعشرة فصول دارت على مُنظّرين للقانون الدولي إثباتا وتشكيكا (الفصول الثلاثة الأولى: جون أوستين (1790-1859) صاحب النزعة الوضعية التي ترى في نهاية الأمر أن الأصل في القوانين الوقائع الاجتماعية لا الماينبيغيات الخلقية، وأن ما من قانون إلا وهو مفروض من طرف العاهل؛ ومن ثمّة سعيه إلى الفصل بين القوانين الوضعية والمبادئ الخلقية، وهيرت ليونيل أدولفوس هارت (1907-1992) صاحب المدرسة الوضعية التحليلية في القانون، ورونالد دوركين (1913-2013) صاحب كتاب «أخذ الحقوق مأخذ الجد»، المتأثر بهارت والناقد له في آن، مفند الوضعية المؤمن بالتأثر بين الحق والأخلاق، وعلى قضايا في القانون الدولي (الفصل الرابع: أفهل ثمّة حكم دولي للقانون؟ الفصل الخامس: حكم القانون الدولي؟ الفصل السادس:



هذا القانون أن يخدم فكرة الهدف الإنساني المتمثل في تقليص الأضرار التي تلحقها الحرب. وبالجمل، يمكن تسويق التزام قانون الحرب بتكافؤ المتحاربين وحرمة غير المحاربين تسويغاً أخلاقياً.

ثم يعالج المؤلف مسألة الجريمة ضد البشرية وتسويق القضاء الدولي محاكمة من يقترف مثل هذه الجريمة. ترى، ما الذي يعنيه ارتكاب جريمة ضد البشرية؟ وما طبيعة هذه الجريمة؟ وما الذي يميزها عن سواها؟ يعالج المؤلف معالجة نقدية التحليلات المتداخلة المتعلقة بمفهوم «الجريمة ضد البشرية». ثم يعتبر مقاربتين تسوّغان متابعة مقترفي الجريمة ضد البشرية: الأولى تقييمها على أسس المخاطر التي تشكلها هذه الجريمة على سائر البشر، بينما تدعو الثانية إلى جماعة أخلاقية وسياسية كونية تجعل مقترفي هذه الجريمة مسؤولين عن أفعالهم أمام المحاكم التي تتصرف لصالح البشرية جمعاء.

وينتقل المؤلف إلى مناقشة مسألة الانفصال من طرف واحد: ما الذي يعنيه الانفصال؟ وما منزلته في القانون الدولي؟ فيناقش مختلف الاجابات عن هذين السؤالين. ويعالج بالأولى مسألة ما إذا كان الانفصال يستند إلى حق أخلاقي. وبالتالي، أي الأقاليم يحق لأصحابها إعلان حق الانفصال؟ ويبحث القواعد الأخلاقية التي يمكن أن تسوّغ الانفصال من طرف واحد، والحيثيات الواقعية التي تدعو الفاعلين إلى القيام بذلك.

وأخيراً، ينظر المؤلف في التسويق الخلفي لبعض القواعد القانونية التي تحكم التجارة الدولية. ترى، أي المعايير الخلقية يتوجب إعمالها في التقييم النقدي لهذه القواعد؟ وما هي اقتراحات إصلاحها؟ ويفحص هنا عدة مستويات خلقية باعثة على التجارة الحرة، شأن التخفيف من الفقر، ويعرض عدة حجج للدفاع عن محاذير وشروط التجارة واستثناءاتها؛ بما في ذلك إباحة التحيز إلى أهل الوطن، وحق أولئك الذين يساهمون في جعل التجارة الدولية ممكنة في تقاسم منصف للأرباح التي تدرها؛ فضلاً عن مناقشة ما إذا كان يجوز أخلاقياً استيراد البترول وغيره من الموارد الطبيعية واستهلاكه من بلدان يحكمها طغاة؛ بما يؤدي إلى انتهاك القانون الدولي، ويساهم، بالتالي، في تفاقم ظاهرة التجارة في الخيرات المنهوبة.

• عنوان الكتاب: الفلسفة والقانون

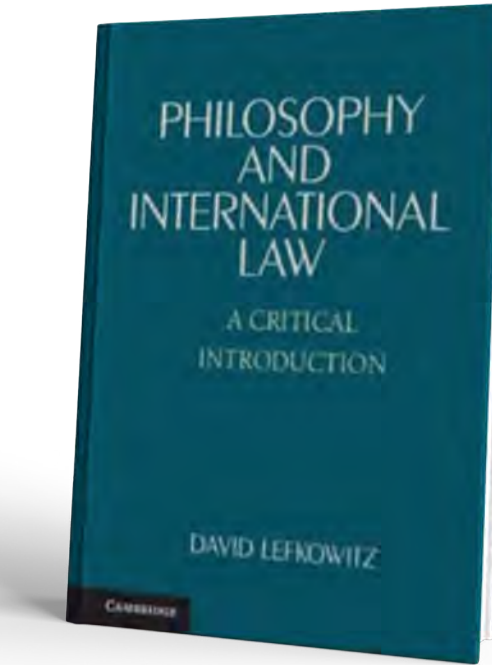
الدولي مدخل نقدي

• اسم المؤلف : ديفيد ليفكوفيتش

• دار النشر : مطابع جامعة كامبريدج

• سنة النشر : 2020

* أكاديمي مغربي



مدرستين فلسفيتين قانونيتين وسياسيتين حول طبيعة حقوق الإنسان وأسس هذه الحقوق. إذ يذهب من يسميهم باسم «المنظرين الأرثوذكسيين» إلى أن حقوق الإنسان إنما هي حقوق أخلاقية معنوية تملكها سائر الكائنات البشرية لا لشيء اللهم إلا لفضل كونها من البشر. هذا بينما يروح أولئك الذين يسميهم بوسم «منظري الممارسة السياسية»، بالصد من ذلك، إلى أن حقوق الإنسان إنما تشكل عناصر مكونة في محاولة تسعى إلى إعادة النظر في سيادة الدولة وفي النظام السياسي الدولي الذي تقدم ضمنه. ويفحص المؤلف فحصاً نقدياً محاولات هؤلاء البرهنة على محدودية ووجاهة مرويات حقوق الإنسان الأرثوذكسية القائمة على التسويق الخلفي لممارسة حقوق الإنسان دولياً. وينتهي إلى اعتبار الدور الذي يلزم أن تلعبه المبادئ الخلقية الموضوعية داخل هذه الممارسة. ويقوم المؤلف أربع مرويات عن الصلة بين الأخلاق وقانون الحرب، وانعكاسات كل واحدة منها على أمرين: تكافؤ المتحاربين وحرمة محاربة غير المحاربين أو المدنيين. ويشير إلى دفاع أحد منظري الحرب العادلة، ميخائيل فالتزر، عن هذين الأمرين على أساس أنهما يعكسان مضمون آداب حرب حقة. وبالصد، يذهب مراجعو مذهب الحرب العادلة. من أمثال ماكهمان وهاك ورودان. إلى أنه بالتزامه بتكافؤ المتحاربين وبحرمة غير المحاربين، فإن قانون الحرب لا يعبر عن مضمون آداب الحرب الحقة. وبينما يحاج رودان بأنه يتوجب أن يتم إصلاح قانون الحرب بحيث يعكس آداب حرب مراجعة، فإن ماكهمان وهاك يدافعان عن قانون حرب ينهض على فكرة أنه يتوجب على المتحاربين أن يبلوا بلاء حسناً في التصرف تصرفاً أخلاقياً إن هم اتبعوا القانون القائم أكثر مما إذا هم سعوا إلى إتباع قانون الحرب المراجع. أما شو وديل فيرفضان الادعاء الذي يتشاطرهما كل المنظرين المشار إليهم والقائل بأنه يتعين على قانون الحرب أن يسعى إلى الحد ما أمكن من انتهاك حقوق الأفراد. وبالبديل، يذهبان إلى الدفاع عن فكرة أنه يتوجب على

(قانون حقوق الإنسان، قانون الحرب، قانون التجارة، قانون الانفصال...)

فحوى القسم الأول من الكتاب:

يخصص المؤلف القسم الأول من الكتاب (من الفصل الأول إلى الفصل السادس) إلى مناقشة مسألة مشروعية القانون الدولي: ترى، هل القانون الدولي حقاً قانون؟ وكما كان قد لاحظ ذلك هارت في مدخل كتابه الشهير «مفهوم القانون»، فإن من شأن من يطرح هذا السؤال ألا ينوي إنكار وجود ممارسة اجتماعية عادة ما تدعى «قانوناً دولياً»، وإنما من أمره أن يود أن يعرف ما إذا كانت هذه الممارسة تملك خواص تضمن أنها «قانون». من شأن أولئك الذين يتساءلون عما إذا كان القانون الدولي حقاً قانون، أو ينفون ذلك بمنتهى البساطة، أن يفعلوا ذلك في إطار حجة عملية تتعلق بما إذا كان على دولة معينة أن تفعّل. إحدى القضايا التي يطرحها هذا الأمر مسألة التنفيذ القسري لهذا القانون. وينظر المؤلف في صورتين لهذا الادعاء: الأول وجد عند فيلسوف القانون جون أوستين الذي قام بتوصيف القانون على أنه ما يأمر به العاهل، أو بعبارة هارت نفسه: «أوامر تدعمها تهديدات».

والثاني يعالج نوع التنفيذ الذي وجد في الدولة الحديثة باعتباره الشرط الضروري لوجود القانون. ويوفر المؤلفان معاً أساساً مناسباً للنزعة المتشككة في القانون الدولي. على أن المؤلف يرفض هذين الموقفين معاً. ويعيد النظر في تقديم هارت بوسمه من المتشككين في القانون الدولي، ويراجع هذه الفكرة على أساس أنها قائمة على قراءة فاسدة. ذلك أن هارت لا ينكر أن يكون القانون الدولي قانوناً، وإنما ينكر أن يكون نظاماً شريعياً. ويخصص المؤلف فصلاً لتقدّم دووركين لهارت وللوضعية المنطقية بعامة التي هي المذهب الذي يرى أن وجود القوانين إنما من شأنه أن يؤوب، في نهاية المطاف، إلى الوقائع الاجتماعية وليس بالضرورة إلى الاستحقاقات الخلقية. ويتمثل البديل الذي يطرحه دووركين في أن القانون الدولي إنما هو نظام قانوني شرعي حق وأصيل. وينتقل المؤلف إلى فحص مسألة حكم القانون، بما في ذلك مختلف المرويات عن العناصر التي يتضمنها قيمة الحكم وفق هذا المثال، ثم يأتي إلى مختلف أسس مسائلة وجود حكم دولي للقانون. ويعطف على ذلك التناول بفحص مفهوم المشروعية وصلته بواجب أخلاقي هو واجب طاعة القانون. ويعتبر هنا أربعة أسس لمشروعية القانون الدولي: 1- إكساب الذوات الخاضعة للقانون مهارة التصرف كما لو كانت لها دواعي محقة في تصرفها. 2- موافقة هذه الذوات 3- اعتبارات تتعلق بالقبول بقواعد اللعبة. 3- المرجعيات الديمقراطية للقانون الدولي.

محتوى القسم الثاني من الكتاب:

بعد أن دار القسم الأول من هذا الكتاب على النزعة الشكوكية في أمر القانون الدولي وفي شأن مشروعيته، ها هو يدور القسم الثاني على بحوث فلسفية خاصة في أمر أنظمة قانونية بعينها: نظمة حقوق الإنسان، قانون الحرب، الجريمة ضد الإنسانية، إعلان الانفصال من طرف واحد، قانون التجارة الدولية.

وهكذا، تنصب عناية المؤلف على نقاش حديث يدور بين



الدين المدني في أمريكا روبرت بلاه

عزالدين عناية *

يُعالج الكتاب الذي نتولى عرضه مسألة جوهرية في علاقة الدين بالاجتماع ضمن السياق الغربي، وتحديدًا ضمن السياق الأمريكي. فطالما تركزَ النظر العربي لعلاقة الدين بالسياسة والخيارات الاجتماعية ضمن السياق الأوروبي، وتغاضى عن واقع المكوّن الديني وحضوره وفاعليته في الأوساط الأمريكية.

الشخصيات العمومية الأمريكية حملاتهم التبشيرية في الخارج، بادعاء حمل رسالة خلاص إلى شعوب العالم بأسره. وعلى سبيل المثال على إثر اجتياح العراق (٢٠٠٣) حلّ فرانكلين غراهام، ابن المبشر التلفزيوني المعروف ببيلي غراهام، بأرض الرافدين مدّعيًا تقديم المعونة المادية والروحية للعراقيين. بوصف أمريكا ليست خلاصًا سياسيًا فحسب، بل هي خلاص روحي وديني أرادته الرب لعباده. صرح فرانكلين غراهام قبل مغادرة العراق بأن ما يُطلق عليه بعملية «الحرية للعراق» هي فرصة سانحة لانتشال الغارقين في الظلمة ومدّ يد العون والخلّاص لهم، لأن أمريكا ملزمة أخلاقياً للقيام بذلك الدور، بفعل الرسالية التي تحركها والرصيد الخُلقي الذي يحفزها. وليس هذا الحسّ النبوي الطاغي في الوسط السياسي الأمريكي بالدور الأمريكي ظرفياً، بل هو جوهرى، ولذلك أغلب الكنائس الأمريكية التي تحاول تصدير رؤاها خارج أمريكا تتصرف ضمن هذا المنطق أكان في جنوب القارة الأمريكية أم في أوروبا. فهناك نبرة خلاصية طاغية لديها، ولعل ذلك ما بدا جلياً أيضاً في مطلع القرن الفائت في تعامل أمريكا مع النصف الجنوبي للقارة الأمريكية. بدا السعي حينها حثيثاً لتحجيم الوصاية الكاثوليكية والعمل على تقليص هيمنة كنيسة روما على المجال الديني في الشطر الجنوبي للقارة. وأبّدت الكنائس البروتستانتية الأمريكية حماسةً لنشر الرسالة الدينية الأمريكية ذات الطابع البروتستانتية في المنطقة. وهو توجه عام في أمريكا يرى في الكنائس الأمريكية امتداداً لليبرالية على المستويين الديني والاقتصادي. اندرج تصريح الرئيس الأمريكي تيودور روزفيلت ضمن هذا التمشي، خلال العام ١٩١٢، لما أعلن أن الخيارات الدينية غير الأمريكية تُشكّل عقبة أمام تمدد السياسة الأمريكية جنوب القارة. وهي في الواقع رؤية مستوحاة من سردية رائجة أن المنظور الديني الأمريكي يمثل السند القيمي والأيديولوجي للرأسمالية والليبرالية، قوامه تلازم مفترض بين الأخلاق البروتستانتية وروح المذهب الرأسمالي، وفق القراءة الفيبرية.

تحوزها، كما تخيلها الآباء كانت دائمة الحضور في الخطاب السياسي مع سلسلة طويلة من الرؤساء الأمريكيين، وتواصلت إلى غاية الرئيس الحالي جو بايدن. لا ينكر بلاه أن مقولة «الدين المدني» في أصلها تعود إلى المفكر جان جاك روسو في الفصل الثامن من الكتاب الرابع من «العقد الاجتماعي»، حيث يعرض العقائد المكوّنة للدين المدني بشكل واضح ومبسّط: وجود الله، الآخرة، الثواب والعقاب، ونفي التعصب الديني. بيد أن هذا المفهوم يتخذ دلالات عميقة في الواقع الاجتماعي الأمريكي ويغدو لصيقاً بالمقومات الجوهرية التي تقوم عليها الدولة، وأن ما عملت التجارب السياسية الأوروبية على تحييده وعزله -نقصد الرصيد الروحي العقدي- يغدو مع التجربة الأمريكية مستلهماً ومستحضراً بشكل دائم. فمند تولي جورج واشنطن منصب الرئاسة (١٧٨٩)، دأب الرؤساء الأمريكيين أثناء التنصيب على اختتام قسم الوفاء للدستور بقولهم «ليكن الرب في عونى»، وإن كان الدستور الأمريكي من أوائل الدساتير الغربية التي حرصت على الفصل بين الكنيسة والدولة، بما يضمن للجميع الحرية الدينية وليس بما يُقصر الدين من الحياة السياسية. فالعلمانية الأمريكية هي علمانية متعايشة مع الدين وليست علمانية طاردة له، كما نلاحظه في اللائكية الفرنسية المتحرّجة من كل ما هو ديني. ضمن هذا السياق مثل مفهوم «أمريكا المتماهية مع إسرائيل» التوراتية عنصراً قوياً في المخيال السياسي الأمريكي على حدّ ما يذهب إليه بلاه. ولّد ذلك إحساساً إيماناً برسالية أمريكا، الحضارية والقيمية التي توزعت بين مجمل القيادات السياسية التي تولّت المناصب العليا في الدولة. وبالتالي ثمة حسّ شائع بما يشبه «الدور النبوي» والمهمة الرسالية، كما يبرز بلاه، تتولاه أمريكا في العالم بوصفها نور الأمم، والمعنية بتصدير تلك النورانية السياسية والحضارية إلى مختلف شعوب العالم. يصف الرئيس أبراهام لينكولن الشعب الأمريكي بال «شعب شبه المختار» أو «تقريباً مختار» في أحد خطباته. وفي هذا الجو من الحماس الديني خاض لفيث من

تعود المسألة بالأساس إلى وقوع النظر العربي السوسولوجي، والمعرب بشكل عام، رهين المعايير المتأتية من التجربة الأوروبية، حتى تشكلت معيارية جامدة في فهم مسار العلاقة بالدين. أضحت تلك المعيارية مضلّة في الكثير من الأحيان، ولا تكفي لتشكيل رؤية مكتملة عن واقع علاقة الدين بالاجتماع في الغرب. قنع فيها النظر العربي بتاريخية منقوصة في وعي العقل الديني الغربي، تلخّصت في تاريخ إزاحة الدين من الاجتماع، على إثر التحولات التي شهدتها الواقع السياسي الأوروبي منذ تفجّر الثورة الفرنسية وما تلاها.

فما الذي يميز التجربة الدينية الأمريكية عن نظيرتها الأوروبية؟ بادئ ذي بدء نشير إلى أن التداخل بين الدين والاجتماع، من ناحية الحضور البارز في مختلف الأنشطة الاجتماعية، وبين الدين والسياسة، من ناحية استبطان الخطاب السياسي لمذلولات دينية واضحة، هو شيء مفاجئ للأوروبي حين تطأ أقدامه أرض أمريكا، تصدّمه شعارات ولافتات على غرار «يسوع هو الحل» أو «الكنيسة هي الخلاص». فذلك الفصل بين الحقول والقطاعات والمؤسسات، الدينية والدينية، يتقلص في الواقع الأمريكي إلى درجة الانتفاء أحياناً.

في هذا الكتاب يحاول عالم الاجتماع الديني روبرت بلاه الأستاذ السابق في جامعة بركلي في كاليفورنيا، وصاحب المؤلفات المرجعية في دراسة الظواهر الدينية، الانطلاق من الجذور لفهم أصول «الدين المدني» ضمن السياق الأمريكي. يُبرز الكاتب في مؤلفه المخصّص للواقع الديني الأمريكي أن الأمة الأمريكية منذ حقبة الثورة، آمنت مع الرواد الأوائل، الآباء المؤسسين، بوجود صلة مميزة، بما يشبه الترابط الوثيق بين الأمة ومخزونها الروحي، المتمثل في «إسرائيل القديمة»، كما صورها الكتاب المقدس. ولذلك نجد إحساساً قوياً في المخيال الأمريكي التأسيسي بأن أمريكا مصنونة ومختارة من طرف العناية الربانية، بما يماثل الشعب المختار الذي يرد الحديث عنه في الكتاب المقدس، فهناك تماثل في المسار وتشابه في الأدوار. وتلك الضراوة التي تُشكّلها أمريكا، أو تلك الريادة القيمية التي



توظيفه في العديد من المناسبات عبر التاريخ الأمريكي لتبرير السلوك المشين أيضاً الذي سلكه الأمريكيان مع الهنود الحمر، وهذا التمثل جرى استغلاله في المغامرات الإمبريالية في مطلع القرن التاسع عشر أيضاً.

من جانب آخر لاحظ بلاه أن الدين في أمريكا، وإلى غاية القرن التاسع عشر، كان متميزاً بطابع حركي، أخلاقي، اجتماعي، ولم ينحصر في مستوى تأملي أو لاهوتي، ولم ينصب بصيغة روحانية مثالية. وهو ما يتوافق فيه بلاه مع أليكسيس دو توكفيل الذي رأى أن دين الكنيسة الأمريكية هو بمثابة المؤسسة السياسية التي تسهم بشكل حاسم في دعم أسس الجمهورية الديمقراطية بين الأمريكيان، بما توفره من دعم أخلاقي في خضم التحول السياسي الدائم.

والواقع أن هذه الفكرة قد راجت لدى كثير ممن قاربوا الواقع الديني الأمريكي وعملوا على مقارنته بالواقع الأوروبي. يتحدث هنري بارجي -سنة 1902- عن دين الكنيسة الأمريكية بما يشبه «القصيدة الحضارية». إذ تبرز التجربة التاريخية للدين في أمريكا أن الكنائس لم تقف في وجه الثورة الأمريكية، ولم تعارض إرساء المؤسسات الديمقراطية في مراحل حاسمة من تاريخ البلد. وحين أثير اعتراض بعض العناصر التابعة للكنائس عن مأسسة الحرية الدينية، قبلت الغالبية العظمى بالنتيجة النهائية دون حنين إلى النظام القديم. والملاحظ في الدين المدني الأمريكي أنه لم يتميز بالعداء السافر للدولة، ولم يميزه جدل واسع مع العلمانية، وبخلاف ذلك كانت الكنيسة الكاثوليكية شديدة الخصومة مع الثورة الفرنسية ومناوئة لخيارات سياسة الدولة في الاجتماع.

ما يخلص إليه روبرت بلاه في كتابه أن مجمل ثيمات الدين المدني ضمن الطرح الأمريكي تتخفى وراءها نماذج أصلية توراتية، تتمثل في «الخروج» و«الشعب المختار» و«أرض الميعاد»، و«أورشليم الجديدة»، و«الموت الأضحوي» و«البعث» وغيرها، ولعلها من الأسباب التي تفسر الترابط الوثيق بين أمريكا وإسرائيل اليوم.

• الكتاب: الدين المدني في أمريكا.

• تأليف: روبرت بلاه.

• الناشر: مورثليانا (بريشيا-إيطاليا)

• «باللغة الإيطالية».

• سنة النشر: 2021.

• عدد الصفحات: 111 ص.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا



الرب، وهو مفاد المقولة الأمريكية الشهيرة «في الله نثق». نجد الرئيس توماس جيفرسون في خطاب التنصيب أيضاً (مارس 1801) يعبر بوضوح عن مفهوم «الأرض الموعودة» و«الشعب المختار» ضمن السياق الأمريكي قائلًا: «لقد قاد الرب شعبه إلى تأسيس شكل جديد من النظام الاجتماعي سيكون نوراً لكل الأمم». وتتعاظم هذه الاختيارية في المخيال السياسي الأمريكي كما يخلص بلاه من خلال اعتبار «إعلان الاستقلال» و«الدستور» و«حقوق الإنسان» بمثابة التعاليم المقدسة. نجد هذا الاستبطان الديني للرسالة الأمريكية أيضاً في تمثّل الرئيس جورج واشنطن على غرار النبي موسى الذي اختاره الرب ليقود شعبه نحو أرض التحقق وليخلص قومه من رهن العبودية.

في الواقع الأمريكي أملت حاجة الدين المدني، كما يرى بلاه، المشاغل المشتركة، فالدين وببساطة يقوم على تجربة باطنية ذاتية، ولكن انشغالات عامة تطبعه أيضاً، تعبر فيها مضامينه عن قيم مشتركة وخيارات جامعة. فوق المنظور الأمريكي الدين والأخلاق هما دعامة ضرورية لمجمل التوجهات والأعراف التي تقود إلى الفلاح السياسي، وأن أمريكا مدينة في جانب كبير من وحدتها وريادتها إلى عامل الدين، وهو ما عبّر عنه الحس الوطني، أو لنقل الضمير الجمعي، بإقرار يوم خاص ضمن الروزنامة الوطنية كعيد للشكر تعبيراً عن تلك الصلة الوثيقة بين المجتمع الأمريكي ومخزونه الروحي. فما من شك أن فكرة الدين قد لعبت دوراً بناءً في فكر الآباء المؤسسين، حتى وإن انطبع الفهم الديني بخصائص اقتضت في اللاحق تهذيباً، ليغدو الدين أكثر إنسانية ويحد من غلواء التمرکز حول الكنيسة البيضاء. وعلى سبيل الذكر موضوع «إسرائيل الأمريكية»، أي الاستبطان للتجربة التوراتية، جرى

فالدين المدني بهذا الاعتبار والمنظور هو رؤية داخلية ملاصقة للخيارات السياسية، باحثة عن التمدد في الخارج. وعلى هذا الأساس يتساءل مقدم كتاب روبرت بلاه في ترجمته الإيطالية، الأستاذ جوفاني فيلورامو، قائلًا: إذا ما كان القرن العشرون هو قرن الأيديولوجيات العقائدية الصلبة والمتصلبة، مثل النازية والفاشية والشيوعية، فهل سيكون القرن الواحد والعشرون هو قرن الدين المدني بما يقتضيه من ليونة في الزمن المعولم؟ صحيح انختم القرن العشرون وانطبع مطلع القرن الواحد والعشرون بعودة الأصوليات، ولكن هناك أيضاً تطّلع في العالم نحو مؤتلف جامع يراود المؤمنين في أديان شتى، بدأ يملي بحثاً عن صيغة دينية منفتحة وجامعة في آن.

وما يلاحظ اليوم، كما يرصد روبرت بلاه، أن التقسيمات التقليدية بين العلمانيين والمتدينين، ضمن تكتلات صلبة وصارمة قد أضحت رخوة. فالحدود بين الطرفين، وبين الشقين التقليديين، قد بدأ يفقد دلالاته الأولية، ليحل محله ضربٌ من التداخل والتشارك والتحالف. تأتي إعادة توزيع الأدوار وإعادة صياغة التعريفات ملائمة لحقبة الدين المدني. فليس العلمانيون كتلة جامدة، وبالمثل ليس أنصار التوجهات الدينية كتلاً جامدة، فكلهما يبحث عن حلفاء وعن أنصار جدد لن يجدهم سوى في الشق المقابل. ومنذ خمسينيات القرن الفائت كان اللاهوتي هانس أورس فون بالتاسار (ت. 1988) يتحدث عن هدم الجدران الفاصلة بين الشقين، بما يعني فعلاً الانفتاح المتبادل والتحاور لغرض التعايش.

يشدّ بلاه على معطى الدين المدني في أمريكا بوصفه أحد الأبعاد السوسولوجية التي ينبغي دراسة أثرها في الاجتماع، وينطلق من محطة محورية في التاريخ السياسي الأمريكي، من خطاب التنصيب الذي ألقاه الرئيس جون كينيدي في يناير 1961، المتضمن لدلالة دينية مدنية قوية. حيث استهل الرئيس خطابه بقوله: «... لذلك أقسمت أمامكم وأمام الرب العظيم وفق الصيغة المألوفة التي دأب عليها الآباء منذ ما يناهز القرنين... إن حقوق الإنسان لا تتأتى من سخاء الدولة بل من عطاء الرب».

ويختتم كينيدي خطابه قائلًا: «على هذه الأرض ينبغي أن يكون فعل الرب، الذي هو بشكل ما فعلنا». وهو تعبير بليغ عن أن الدين المدني ضمن السياق الأمريكي يحضر في استبطان ذلك البعد القداسي المتخيل في الفعل السياسي، لكن تبقى الخصوصية الأمريكية، وبخلاف ما هو معهود في قارة أوروبا العتيقة، وهي الحرية المتروكة للكنائس والنحل والتجمعات الدينية المعبرة عن معتقداتها المتنوعة ورؤاها المتباينة. ففي النظرية السياسية الأمريكية تستمد السيادة مشروعيتها من الشعب، حيناً بشكل ضمني وآخر بشكل علني، ولكن السيادة العليا تعود بمصدريتها إلى



التقلبات: العوالم الناشئة والاحتمالات المرغوبة جيروم باشي

سعيد بوكرامي *

ينزع مفهوم الانهيار إلى تسييس القضايا من خلال افتراض مسار فريد لا محيد عنه، وكأنه شيء محتتم، وعضواً عن هذا المفهوم الدوغمائي المبشر بنهاية حتمية للعالم، يقترح الكاتب الفرنسي وعالم الاجتماع جيروم باشي مفهوم التقلبات، مما يفسح المجال أمام النمو غير المتوقع في عصرنا والدور المركزي للتعنئة السياسية.

تحليلاً لعصرنا ومستقبله يختلف جذرياً عن الخطابات الكارثية المسييسة لمفهوم الانهيار. في الفصل الأول بعنوان «تأثير فيروس كورونا» حاول أيضاً انتقاد فكرة الانهيار مبرزاً أن المسارات الحالية لـ «النظام العالمي الرأسمالي» تميل نحو مسألة التسريع في كل المجالات (مثل التحول الرقمي للعمل بمختلف أنواعه)، وتحفيز الانعكاسات (مثل نقل بعض الأنشطة الإنتاجية)، أو قلب الأوضاع (مثل تعزيز دور الدولة) أو التقلبات (مثل الالتزام بالانتقال الطاقى على حساب النفط). كما أنه حرص على وضع هذه التقلبات في إطار أكثر عمومية وأعمق لرأسمالية تعيش أزمة هيكلية. ومع ذلك، يقول الكاتب إنه لا يجب أن نقع ضحية أطروحة علماء الانهيار، الذين ينتقدون العلم، وتسييس القضاء على التلوث (إذا كان النظام قد انهيار، فلماذا يستمر النضال ضده؟) أو حتى استخدام مفهوم التاريخ الحتمي. في مواجهة هذا «السرد الفريد والقاتل»، من المهم على العكس أن نؤمن بـ «تعدد السيناريوهات». وهذا ما سيسمح لباشي، بأن يلجأ إلى مفهوم «الجمعي المترع بالريية» لـ «التقلبات» وإلى نظيرتها فكرة «الأزمة الهيكلية»، التي تتميز باقتران متزايد للأعطال». وهكذا، داخل النظام الرأسمالي العالمي، تستمر الصعوبات في التراكم، مما يؤدي إلى انهيار جزئي ومحلي، في المجالين الاقتصادي والبيئي. هناك الكثير من الظواهر الزلزالية الصغيرة التي تضعف هيكل النظام الرأسمالي وتجعله يزداد هشاشة كل يوم، ولكنه لن يصل إلى انهيار عام، وإنما سيخضع لتقلبات كبيرة. الشيء المهم هنا، بالنسبة للكاتب، هو الإصرار على تعدد السيناريوهات المحتملة وعدم اليقين في الفترات الزمنية، مع ملاحظة أن «ردود الفعل المناهضة للنظام مثل تقلبات ما بعد الرأسمالية تكتسب فرصاً في مجال الاحتمالات». يناقش الفصل الثاني إغلاق الاقتصاد العالمي والمحلي في ربيع ٢٠٢٠، ويقدمه كمثال جيد على هذا النوع من التقلبات. لقد فتح الباب بالفعل أمام مراجعة الأنشطة الاقتصادية

الكثيرون حلموا بالفعل، بهذه المناسبة، بقدوم عالم جديد، «عالم ما بعد...»، أفضل يعيد فيه الإنسان تركيزه على الأساسيات. وهكذا رأينا عدداً من المنابر والهيئات والتنظيمات التي تدعو إلى الاستفادة من هذا التوقف المؤقت للبشرية الذي سمي بالحجر الصحي الكبير لعام ٢٠٢٠ لإعادة تشغيل النظام العالمي، على أساس اجتماعي واقتصادي وبيئي يكون أكثر عدلاً، كما تهيأ لكثيرين أن قطيعة حقيقية آخذة في التشكل مباشرة بدخول الإنسانية إلى حقبة جديدة. لكن بعد عام ونصف العام، علينا أن نعترف بأن عالم الأمس لم يقل كلمته الأخيرة وأنا بدأنا نلاحظ وقبل كل شيء «العودة إلى الوضع الطبيعي» الذي ينادي به الكثيرون، بحيث بدأ وبفارغ الصبر النزوع الجامح للعيش والاستهلاك والتحرك كما كان يحدث من قبل وأكثر. ومع ذلك، سواء أحببنا ذلك أم أبينا، فإن كوفيد ١٩ قد غير العالم. لقد أوصلنا إلى عالم جديد - على مستوى القرن الحادي والعشرين نفسه، كما سيقول البعض - عالم يتميز بالطبع بزيادة عدم الاستقرار وعدم القدرة على التوقع، ولكن أيضاً بإمكانية ملموسة الآن: رؤية مستقبل يحدث لفائدة عالم الرأسمالية. إن الباب الذي فتحه التوباء أمام عالم يتعافى من تجاوزات الليبرالية الجديدة المدمرة لا يزال مفتوحاً على مصراعيه، ولا ينتظر إلا من يقتمحه. هذا ما يقترحه الكاتب الفرنسي جيروم باشي في هذا الكتاب المثير للاهتمام.

بينما كان يعتقد كثيرون أن كوفيد يعتبر مرضاً للأزمة النظامية للرأسمالية، فإن الكاتب يعتبره أحد أعراضها، إذ يستكشف باشي العوالم الناشئة والإمكانات المرغوبة التي تنطوي عليها كل هذه التقلبات التي نشهدها حالياً. بعبارة أخرى، يتخذ من كوفيد - ١٩ ذريعة من أجل استكشاف، من زاوية نظر متجددة، الموضوعات المفضلة لديه والتي تناولها بالفعل في كتبه السابقة، بما في ذلك كتابه المهم «وداعاً للرأسمالية المنشور في عام ٢٠١٤». لذلك يقترح علينا، انطلاقاً من مفهوم التقلبات،

ستحدث التغيرات وهذا الأمر لا مناص منه، على المدى القصير نسبياً، على خلفية أزمة تنظيمات الرأسمالية وفقراتها وأخطائها، الناتجة بالتأكيد عن «التناقضات» البيئية التي تجتاح الكوكب، ولكن أيضاً بسبب التوترات الداخلية بين الرأسمالية الأحفورية (المعتمدة على الموارد الطبيعية الباطنية) والرأسمالية التكنولوجية المنحازة نسبياً إلى صناعات بيئية متجددة. على هذا الأساس التحليلي، يرسم الكاتب عدة سيناريوهات، وكلها معقولة تماماً في هذه المرحلة.

هناك جانب يلفت انتباهنا إليه الكاتب بشكل خاص وهو انفتاح الاحتمالات لمرادفات الانقلابات المجتمعية والحضارية الكبيرة التي من شأنها أن تشاركنا في طرق عيش تنزاح عن منطق النظام العالمي الرأسمالي، وتضعنا في مواجهة أسئلة أساسية: ماذا يمكن أن يكون عليه تنظيم للإنتاج يتخلى عن مركزية المحددات الاقتصادية؟ ما هو مآل سياسة تفضل الحكم الذاتي الشعبي وتفترض الانتقال الجماعي؟ كيف يمكننا إقامة علاقات جديدة مع اللإنساني الذي يتوقف عن إخراجنا من الترابط بين الكائنات الحية دون حل مفهوم الإنسانية تماماً؟ وبأي طرق تنمو مثل هذه الاحتمالات؟ هذه كلها أسئلة يحاول جيروم باشي - بعلم استثنائي ووضوح وحرية تفكير - وضع إجابات لها معقولة وموثقة بقدر كبير من الشغف لاكتشاف الحقائق واقتراح الحلول.

شكلت جائحة كوفيد ١٩ حدثاً انقلابياً، بالمعنى الدقيق للكلمة، ففتحت ثغرة في وجود الإنسان كما في مجرى الأيام. خلال عدة شهور، توقفت تقريباً معظم الأنشطة البشرية على هذا الكوكب، مما أدى إلى التفكير في إعادة تنظيم مقاييسنا للقيمة والاحتياجات، وتحديد المهم والضروري والفائض عن الحاجة. في المقابل اتضح أنه عكس ذلك، فقد أدى هذا التمزق في ترتيب الأشياء وفي مسارها المعتاد إلى ظهور (أو على الأقل بدا بديهي) الاحتمالات التي كانت تبدو حتى ذلك الحين خيالية أو غير واقعية أو طوباوية تماماً. في خضم هذه التقلبات



أي «التخفيف من قيود عالم الاقتصاد واجتراح طرق أخرى للوجود والعيش». هذه المبادرات هي التي يسميها باشي بالمساحات المحررة، هي مساحات للمعارك أكثر مما هي مساحات للتجريب. هذه المساحات تحمل الكثير من الآمال والإمكانات، لأنها بالنسبة للكاتب هي الأسس وإذا تضاعفت، سيكون من الممكن قلب العالم الرأسمالي وإعادة بناء عالم جديد. بفضل تراكم تجارب ما بعد الرأسمالية السابقة واشتداد المواجهة مع العالم الاقتصادي والسياسي الحالي، سيتحقق التحول نحو عالم بديل.

يقوم باشي بتحليل ذكي ل«فنون العيش ما بعد الرأسمالية» التي تؤثر على احتمالية انفصال جذري عن العالم الحديث، والذي لن يحدث من تلقاء نفسه، ولا بدون صدمات، كما هو الحال مع العالم من قبل - كما يمكننا أن نرى مع حالة الطوارئ المناخية - الذي سيبدل قسارى جهده لمواصلة عمله كالمعتاد حتى النهاية. إن أفضل طريقة هي الاستعداد لهذا العالم الجديد اعتباراً من الآن من خلال صقل جميع انحرافات التقلبات الممكنة، ومعها الديناميكية الهشة للكائنات الحية. لأن «الانهيار ليس مؤكداً أكثر مما كان التحرر مضموناً بالأمس. لكن ردود الفعل المضادة للنظام مثل التقلبات ما بعد الرأسمالية تكتسب أهمية كبيرة في مجال الاحتمالات، وتعد بتغيرات جذرية على المدى المتوسط.

إن عمل جيروم باشي، إذا لم يكن دليلاً معرفياً بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو مع ذلك معيار للاختيار في خضم هذه المغامرة البشرية الملتبسة، كما يعتبر استنتاجات مفيدة لفهم متجدد لوجودنا الفردي والجماعي وإدراك أعمق لتجربتنا على كوكب بات غير قادر على تحمل أن نواصل أنشطتنا العنيفة وكأن شيئاً لم يحدث، ولن يحدث.

• **الكتاب: التقلبات. عوالم ناشئة واحتمالات مرغوبة.**

• **المؤلف: جيروم باشي**

• **الناشر: دار لاديكوفيرت. فرنسا**

• **سنة النشر: 2021**

• **عدد الصفحات: 256ص**

• **اللغة: اللغة الفرنسية**

* **كاتب ومترجم مغربي**



التخلي عنها لصالح إصلاح وجودي وأنتروبولوجي عميق يضمن تعزيز أنواع أخرى من العلاقات بين البشر وغير البشر، ولكن أيضاً بين البشر أنفسهم. لأن الخروج من الرأسمالية يعني الخروج من هذه الحداثة التي كانت قائمة على هذه المفاهيم الرائدة ولكنها الآن عفا عليها الزمن. إن الاعتراف بالترابط بين الكائنات والأفراد على حد سواء، ولكن أيضاً بتفردهم، يدعونا بالفعل إلى تعديل تمثيلنا للاستقلالية وكذلك تمثيلنا للكونية، والتي لم تعد قادرة على استهداف الفرد ولكن يجب أن تدافع عن التعددية. بهذه الطريقة، سيكون من الممكن تغيير نظرتنا إلى العالم وإلى حياتنا، وبالتالي ممارساتنا الإنتاجية الاستنزافية والمدمرة.

لهذا السبب يقترح الكاتب، في الفصل الخامس والأخير، «محاولة ربط انفتاح احتمالات ما بعد الرأسمالية بالوضع الحالي والنضالات التي تمارس اليوم». من هذه «الفرضية الإستراتيجية في أوقات الأزمات»، يبدأ باشي بنزع فتيل المعارضة بين ثورة كبرى في مكان ما وبين مقاومة في جزيرة صغيرة. من خلال الرفع من قيمة المساحات المحررة واشتداد المواجهة مع عالم الاقتصاد، يعتبر الكاتب أن الخطوات الصغيرة هي أضمن طريق نحو ثورة اجتماعية واقتصادية وسياسية وأنتروبولوجية من فرض حالة الطوارئ المناخية، ولكن أيضاً يجب أن تكون النضالات اجتماعية وسياسية للحد فقط من توحش الرأسمالية. من المهم بالفعل تنمية جميع المبادرات الفردية أو الجماعية «لتجريد رأسمالنا»

التي قد يكون من غير المرغوب فيها عدم إعادة إطلاقها في نهاية أزمة الوباء، خاصة تلك الموجودة في الأصل (إزالة الغابات، الطيران الدولي، إلخ). وبالتدريج، بدأ يطرح السؤال ذاته عن حتمية النمو كمحرك للتراكم المتجدد لرأس المال. بعد التعرض لانخفاض قسري في النمو، لماذا لا يحدد عجز في النمو يكون اختيارياً؟ يعطي فرصة لتوازن النمو من خلال إدراج أنشطة اقتصادية موازية. يلاحظ باشي، على وجه الخصوص، أن جزءاً كبيراً من النشاط الاقتصادي يعمل فقط من أجل الحفاظ على منطق تقييم القيمة وبالتالي النظام الرأسمالي نفسه. لكن تفكيك النظام الإنتاجي لن يكون سوى الخطوة الأولى في عالم ما بعد الرأسمالية. ثم يطرح السؤال عما يجب إنتاجه وكيف يمكن القيام بهذه الاختيارات، لأن تحول الاقتصاد هو أيضاً فرصة لتجديد السياسة. وهنا يستخدم الكاتب مفهوم العيش الكريم للتعبير عن التحول من القانون الكمي، قانون الاقتصاد، إلى قانون الكيف، الذي يقع في صميم مصالح الأحياء.

يناقش في الفصل الثالث التنظيم السياسي المدرج في صميم إعادة هيكلة النشاط البشري، بحيث تطرق لمبادئ إعادة التوطين والإدارة البلدية، والتي طرحت من خلال مبادرات المساعدة المتبادلة التي ظهرت على المستوى المحلي أثناء الوباء، كمثال لإظهار ما يمكن أن يتشكل منه الوجود الجماعي حول قضايا الإنتاج، ولكن أيضاً من السياسة غير الحكومية، حيث يضمن التنظيم الذاتي والاستقلال الجماعي وبذلك يتخذ العيش الكريم المذكور أعلاه شكل وجود جماعي، أي نمط العيش المشترك الذي «يملك من حيث الجوهر الإحساس بالمشارك» ويفتح الطريق لعلاقة متماسكة للتعايش بين الكائنات الحية وحماية البيئات المحيطة. وبالتالي فهذه التقلبات الأنتروبولوجية حقيقية تتشكل خلف الاحتمالات التي أتاحتها الأزمة الهيكلية للرأسمالية المعولة التي كرس لها الكاتب الفصل الرابع.

هناك الكثير من الدراسات والمفاهيم التي بُني حولها العالم الحديث لكن لم يعد بإمكانها التفكير في المستقبل أو حتى أن تعيش الحاضر بشكل ملائم. هذا هو الحال بشكل خاص مع المذهب الطبيعي، الذي درس جيداً من طرف «ديكولا»، وكذلك مذهب الفردية، ولكن أيضاً مذهب الشمولية. هذه المفاهيم الثلاثة التي تنظم المجتمعات الغربية المعاصرة قد أدت بها إلى مأزق بيئي وسياسي. لذلك يجب



ما بعد الرأسمالية وولادة الطبقة الاجتماعية للشخصيات... ديمتري دافيدوف

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

في الأونة الأخيرة اكتسب التفكير بما سيكون عليه مجتمعنا الرأسمالي أهمية متنامية. وعلى ما يبدو، فإن الشعور الحالي بالتغيرات المستقبلية أخذ في الازدياد، وهو أمر لا يثير دهشة لدى أحد وذلك في ظل الأزمة التي يعيشها النظام الرأسمالي والتناقضات العديدة التي كشفت عنها جائحة COVID-19، وبالتالي ظهرت للعيان محاولات حثيثة لاقتراح ورسم بدائل للمستقبل.

والعواقب السلبية طويلة الأجل لقضية عدم المساواة، نجد أنه من غير الواضح ما إذا كنا أمام نمو أم تدهور وارتداد». (٧-٨)

يحاول الباحث في الجزء الثاني من الكتاب النظر فيما بعد الرأسمالية وذلك من منظور مختلف جذرياً. يقدم المؤلف الكثير من الحقائق ويظهر لنا النزعات الاجتماعية الراهنة والتي تشير إلى أننا نتجه نحو تشكيلة اجتماعية جديدة لم تعرف لها البشرية مثيلاً، ولكنها كبقية التشكيلات المعروفة، تنطوي على تناقضات عديدة وخلل في الانسجام الاجتماعي وبصاحبها ظهور طبقة جديدة غير معروفة حتى الآن يمكن أن نطلق عليها طبقة الشخصيات. ويفسر الكتاب الشخصيات على أنها طبقة من الأفراد، ليس بمعناها البشري، ولكن باعتبارها قوة تستحوذ على انتباه المجتمع وتهيمن على اهتمام الجمهور - وهذا الأخير هو المورد الجديد الذي يستعر لأجله الصراع التنافسي الحقيقي.

إن المستقبل، حسب النظرة الاستشرافية للمؤلف، قد حلّ فعلاً. نحن نعيش فعلياً في مجتمع يعمل فيه كل كياننا بتنظيم نفسه والتمركز تدريجياً حول شخصيات بارزة معينة. أليس ملاحظاً أننا نقوم اليوم بزيارة الطبيب المشهور فقط، ولا تكفينا زيارة مجرد طبيب؟ حتى الأعمال التجارية قد تغيرت كثيراً لدرجة أن الشركات التي لديها عدد ضخم من الموظفين تتراجع أمام شركات يقودها أشخاص مشهورون؟ أما السوق نفسه فيستسلم للإنتاج الآلي على حساب إنتاج الفرد، الذي أصبح غير مرئي تقريباً من وجهة نظر السوق. في الوقت نفسه يجري العمل على بناء هرم اجتماعي جديد، يقف على رأسه من يسمى اليوم بشخصية متحققة بلغت شأواً من النجاح والشهرة.

فيه التغلب على جميع أشكال الهيمنة، لا تمتلك أسسا علمية راسخة. يوضح الباحث أن التشكيل الاشتراكي للمجتمع الذي يدعي عدم سيطرة طبقة على أخرى وغياب الاستغلال وغيره من سمات الرأسمالية الأخرى، لا يختلف عن التشكيل الرأسمالي إلا بشي واحد غير مبدئي، يكتب ديمتري دافيدوف في هذا الصدد: «إن المؤسسات الجديدة للإدارة الاقتصادية التي أنشأها البلاشفة كانت تمثل طريقة الإنتاج الشيوعية الجديدة. ولكن في هذه الأثناء تم اختزال التجديد الحقيقي في مستغل واحد ضخم وهو جهاز الدولة الإداري. لم يكن جوهر علاقات الإنتاج في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية مختلفاً كثيراً عما هو عليه في الولايات المتحدة أو أوروبا الغربية: فقد كان هناك أيضاً استغلال للعمال ومصالح مالية ومناقسة اقتصادية بين وحدات الإنتاج الفردية». (٥١)

ينتقد المؤلف بشدة الرأسمالية بحجة أنها ليست فقط غير قادرة على ضمان المساواة والازدهار الاجتماعي، ولكنها تولّد (نظراً لأن اقتصاد السوق يركز على منطق تعظيم الأرباح) عدداً كبيراً من المشكلات العالمية، بما في ذلك مشكلة التلوث البيئي. ويثبت الباحث أنه حتى النمو الاقتصادي الذي أوجده الاقتصاد الرأسمالي ليس مؤشراً على النمو الحقيقي. إن مؤشر الناتج المحلي الإجمالي يحدد القيم السوقية ويغفل كمية هائلة من الأشياء التي لا يتم شراؤها أو بيعها ولكنها ضرورية للبشرية جمعاء (بدءاً من نظافة الهواء والماء إلى حصة وقت الفراغ الذي يقضيه الشخص في الأسرة وصولاً إلى إمكانيات حصوله على ثقافة عالية... إلخ). ويستنتج الباحث أننا نرى اليوم نمواً اقتصادياً بطيئاً، فإذا حسبنا التكاليف الإجمالية الناتجة عن الكوارث البيئية

يصور لنا معظم الخبراء والساسة مستقبلاً تقدم فيه الروبوتات والذكاء الاصطناعي وفرة من الفوائد المادية ويتم من خلالها تزويد الجميع بكل احتياجاتهم، من بينها ضمانات تقدمها الدول لمواطنيها في الحصول على رواتب غير مشروطة بعمل، في حين يزاول الناس في الغالب أنشطة إبداعية حرة، وفي النتيجة لن يكون هناك أي أساس لأي تناقضات جوهرية داخل المجتمع وسيختفي الصراع الطبقي.

إن مؤلف كتاب «ما بعد الرأسمالية وولادة الطبقة الاجتماعية للشخصيات» ديمتري دافيدوف مقتنع تماماً أن كل هذه الآراء طوباوية ومستوحاة إلى حد كبير من النظرية الماركسية الكلاسيكية للشيوعية باعتبارها الشكل الأضمن لمجتمعات ما بعد الرأسمالية. في الجهة الأخرى يرى المؤلف أن الكثيرين لا يجدون أساساً لقناعته هذه، ذلك لأنهم يأخذون المفهوم الماركسي للتشكيلات الاجتماعية كبديهة لا يطالها الشك. ولا يتعجب المؤلف من أن تحظى أفكار الماركسية بتفسيرها الحديث بشعبية اليوم. مع ذلك فهو يؤكد أن الواقع لا يشير مطلقاً إلى أن التاريخ ينعطف يساراً، علاوة على ذلك، لا نرى استقراراً في المجتمعات كما هو قمين بالماركسية وليس هناك ما يدل على تمسك الناس بلحماتهم المجتمعية، بل نشهد تفككهم وانقسامهم إلى مجموعات صغيرة وأقليات مختلفة حسب معايير شديدة التنوع. لماذا يحدث هذا؟ ربما - يتساءل ديمتري دافيدوف - يكمن الخلل في العقيدة الماركسية للتشكيلات الاجتماعية؟ انطلاقاً من هذا يحق لنا أن نتساءل عما ينتظرنا بالفعل في المستقبل المنظور؟ في سبيل تقديم أجوبة عن هذا السؤال، يثبت الباحث الروسي في الجزء الأول من كتابه أن فكرة مجتمع ما بعد الرأسمالية الذي بفضل نضال الطبقات المسحوقة سيتم



المشرفة، ليس فقط في الاقتصاد، ولكن أيضًا من حيث الصحة النفسية للمجتمع، وهو مكون رئيسي لنوعية حياة عالية. يلاحظ المؤلف أن تكوين طبقة الشخصيات يستلزم اتجاهًا مترابطًا معها وهو توسيع طبقة اللاشخصيات. «يحق الكثير من الناس اليوم نجاحًا إبداعيًا في سعيهم إلى تحقيق ذواتهم (حسب التعبير الشائع)، فينتج عن ذلك المزيد من الأشخاص الهامشيين. يحدث ذلك على خلفية اقتصاد الأتمتة فائقة السرعة والروبوتية للإنتاج، مما يزيح أولئك الذين ليس لديهم مواهب إبداعية إلى هامش الحياة. ففي حين أن عدة من المبدعين سيتولون قيادة الرأي العالمي على وسائل التواصل الاجتماعي، لا يبقى للقسم الأكبر من الناس سوى الرضى بموقع المتفرج (٢٥٠). إن هذا التقسيم للمجتمع إلى شخصيات ولا شخصيات لن يؤدي إلا إلى تعميق الفجوة بين الأفراد وإخفاء تدريجي للفجوة المعتادة تاريخيًا بين البرجوازية وطبقة العمال. لذلك لا يبدو المستقبل وديًا على الإطلاق للكاتب الذي ينه بمجيء أوقات عصيبة تكون فيها طبقة اجتماعية معينة، تحمل رؤية شخصية محددة جدًا للعالم، قائدة للعالم، علما بأنها طبقة لا تحمل أي وعود باستقرار وسلم عالميين، ولا تملك السلطة والقرار لضمان ذلك، فالسبب الذي جعلهم في سدة القيادة، ليس عبقريتهم وصفاتهم القيادية الضدة، بل لأن الغالبية العظمى متخاذلة ولا جرأة لها للمغامرة وتحمل الصدمات. في الوقت نفسه يتوقع المؤلف زيادة في الاغتراب الاجتماعي وانخفاضًا في مؤشرات التعاطف واهتمامًا أقل بمشاكل الآخرين ومشاركة مدنية أقل. كما يأمل أن تدرك البشرية فعليًا كل هذه المشاكل المحدقة ونتائجها السلبية المتوقعة جدا والعمل على تجنبها أو الحد من تفاقمها بأقل تقدير.

• الكتاب: دميتري دافيدوف

• المؤلف: ما بعد الرأسمالية وولادة

الطبقة الاجتماعية للشخصيات

• دار النشر: ريبول كلاسيك / موسكو/ 2021

• اللغة: الروسية

• عدد الصفحات: 336

* أكاديمية ومستعربة روسية



مختلفة تمامًا. يقول: «ومع ذلك، فإن الإبداع من طبيعة مختلفة تمامًا قابل للتحقق، وهو لا يهدف إلى إنتاج الفرد بقدر ما يهدف إلى إصلاح العالم المادي والاجتماعي. لا يعود مصدر المتعة هنا الفردانية اللامعة التي يتم تقديمها للجمهور، بل هي عملية النشاط التغييرية ذاتها، باعتبارها ضامنا لتحقيق الطموحات وإحراق المتعة الأخلاقية والجمالية. مع ذلك، يمكن أن يكون هذا الإبداع مجهول الهوية تمامًا، وقد لا يدعي جذب الانتباه إليه. ما هو رائع في مثل هذا البديل أنه لا يفصل الإبداع عن العمل، فهما متشابكان ومرتبطين بوثاق متين. مثال على ذلك النشاط التعليمي المتمثل في نقل المعرفة، إذ لا بد أن يشمل العمل الروتيني الذي يكرس كتابة التقارير وزيارة مجالس المعلمين؛ فهذه الطريقة، وإن بدت بيروقراطية، إلا أنها نشاط إبداعي يهدف إلى حل قضية غير محدودة في طريق التربية الروحية» (٣٠٦-٣٠٧). وهكذا، وفقًا للباحث، فإن العالم ما بعد الرأسمالية ليس مقدرًا عليه أن يكون ميدانًا للمنافسة لكسب النجومية والاعتراف وحصد الإعجابات، بل يمكن لبيئتنا المادية أن تصبح بأكملها تجسيدًا لفردانية الأشخاص وللأعمال الإبداعية الحقيقية الجماعية حيث تتبدى الطاقة الخلاقة للإنسانية من أجل التغلب على المصاعب كافة، مع ذلك فالاتجاه الذي يسير عليه عالمنا المعاصر عكس هذا تمامًا.

يرسم الكتاب أمامنا صورة لمستقبل بعيد عن الآفاق

يذكرنا المؤلف أن التكنولوجيا في أمس القريب قد وعدتنا بمستقبل مشرق تغدو الحياة فيه غاية في المتعة، لا يكون فيه الشخص بحاجة ليصبح في مركز الاهتمام العام، فغزو الفضاء وبناء الهياكل الفخمة والتغيير السلمي للعالم، أفضل بكثير من النرجسية والرغبة في إرضاء الذوات المتقلبة للجمهور. ولكننا نشهد اليوم أن كل شيء يسير عكس ذلك تمامًا. فتطوير تقنيات وسائل التواصل الاجتماعي تعزز النمو المضطرد لطبقة الشخصيات، بينما لا أحد يتحدث حتى عن الفتوحات المذهلة للفضاء. «الشيء الوحيد الذي يتم تطويره بنشاط اليوم هو أدوات للمستهلكين، والتي تفتح فرصًا غير مسبوقه لإنتاج الشخصية. وهكذا نحن نتجه نحو مرحلة ما بعد رأسمالية مختلفة تمامًا، حيث لا يؤدي التحرر من العمل إلى التطور الشامل المفترض سابقًا للفرد كجزء متناغم من الفريق/ الوطن/ الشعب/ المجتمع، ولكن إلى حُمى النجومية (...) ما يُشاع أننا مدعوون لتحرير الناس من العمل الضروري اجتماعيًا في أسرع وقت ممكن وذلك لإعطاء الجميع الفرصة للانخراط في الإبداع الحر لتنمية الشخصية المستقلة لكل شخص. لكن قد لا يكون هذا أفضل الحلول لمرحلة ما بعد الرأسمالية. ويحتمل أنها مخادعة محفوفة بالمخاطر. علاوة على ذلك، فمن السابق لأوانه شطب العمل الضروري اجتماعيًا» (٢٥٣).

في هذا الصدد يبني المؤلف مفهومًا مثيرًا للاهتمام لتاريخ الشخصية باعتبارها تاريخًا لنضال الفردانية البشرية ضد القوى المناهضة للجماعة والطبيعة. إنه يربط التوسع الحديث للشخصية بعدد من العوامل البيئية. بادئ ذي بدء، يشير إلى تحسين في جودة ومستوى الحياة (لم تعد الحياة البشرية سريعة الزوال ويمكن التنبؤ بها، ولم تعد الثروة المادية في البلدان المتطورة شحيحة) كما يشير المؤلف إلى تقدم العلم والتكنولوجيا ونجاح النضال من أجل الحقوق والضمانات الاجتماعية. نتيجة لكل هذا تسنى للناس وقت فائض للاهتمام بال «أنا». وهذا لا يمكن إلا أن يؤدي إلى تغييرات جذرية في الحياة الاجتماعية كما في الحياة الاقتصادية. تهدد هذه التغييرات بتجاوز حدود الإنتاج الرأسمالي الذي يرتكز أساسًا على السلع المادية وفائض القيمة.

يشير الباحث إلى خطورة الإبداع والابتكار الذي تقترحه الطبقة السائدة الجديدة ويدعو إلى إبداع من طبيعة



في تاريخ العالم: الدول، الأسواق والحروب جوليو سابييلي

فائزة نوفل *

نحن نعيش في عصر من التغييرات غير العادية التي تبشر بإعادة تشكيل عميق للنظام السياسي العالمي، لتجد أوروبا نفسها الأكثر معاناة نتيجة لذلك؛ فكما يبدو فإن القارة القديمة قد ضلت طريقها ونسيت تلك التعاليم المتعلقة بالدبلوماسية، وقواعد عقلانية الدولة والوظيفة التنظيمية التي ضمنت لها الازدهار والاستقرار في النصف الثاني من القرن العشرين.

بالتحديد، بدأ التحول الكبير الذي حدث في العالم منذ اتفاقية بريتون وودز عام ١٩٤٤ وذلك بعد الحرب العالمية الثانية مشابهاً لما حدث ما بين مؤتمر فيينا والحرب العالمية الأولى؛ ولكن من حيث الجوهر كان العكس تماماً. تم تأسيس العالم الحديث ونتج عنه سوق لا تنظمه الدولة، بل التمويل العالي والشركات الكبرى. يتم تنظيم هذا السوق عن طريق الأحزاب السياسية أثناء تنظيمهم للعملية الديمقراطية كما عرفها لأول مرة الباحث في تاريخ العصور الكلاسيكية أوستروجورسكي في العلاقة بين الدولة والمواطنين على أساس نظام الرعاية الاجتماعية وهو ما أسس «لمجتمع الرفاهية» بين الحربين وأثناء الحرب الأهلية الأوروبية ضد الاتحاد السوفيتي، وهي مرحلة في تاريخ العالم تتبع المرحلة الموصوفة «جيداً بقلم كارل بولاني المؤرخ الاقتصادي النمساوي في كتابه الضخم «التحول العظيم».

ما حدث هو أن السنوات التي انقضت من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى الثمانينات والتي بدت - بالنسبة للكثيرين - أسسا لنظام ديمقراطي اجتماعي جديد رفع النظام الأوروبي للاقتصاد المختلط والرفاهية كنموذج كان في جوهره ثمار قصيرة العمر فقط للنمو الاقتصادي العالمي.

ما حدث بعد الحرب العالمية الثانية كان معقداً، ولا يمكن التنبؤ به من نواح عديدة، لفترة قصيرة من السنوات بدأ العالم سليماً بينما تم إرساء أسس تحوله العميق، لكن وبفضل العمل الفكري لمجموعات من العلماء الذين غالباً لم يكونوا مرتبطين ببعضهم البعض سواء في الولايات المتحدة أو في ألمانيا بشكل خاص وضعوا أسس عالم اليوم. الأسس الثقافية وليس الاقتصادية التي تتباطأ اليوم بشكل كبير وستبطل الخروج العالمي من الوباء على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي قبل كل شيء وهو الأهم من كلا الآخرين.

في إيطاليا، كان هناك أحزاب كبيرة شكلت نقاشها السياسي بدءاً من تحليل الوضع الدولي، كانت هناك صحف عظيمة

أنحاء العالم في إضعاف هيكل الدولة، واستبدالها تدريجياً بأشكال مثل النموذج الأمريكي الجنوبي الذي أدى إلى تفاقم الهيمنة النشيطة الجديدة التي وصفها الاقتصادي وعالم السياسة الإسباني خواكين كوستا في تحفته عن الحياة السياسية الإسبانية التي نُشرت عام ١٩٠١ والتي ما زالت و بشكل متزايد تُعتبر معاصرة وتتراوح من تفكيك للأحزاب السياسية إلى عشائر يسيطر عليها رجال الأعمال السياسيون والاقتصاديون الذين تم تجميعهم في أحزاب صغيرة محلية ذات اهتمام بمتعددي الأعراق من الأمريكيين الأفارقة، والسود واللاتينيين في فسيفاء هائلة من أجل التنوع وحرية التعبير، وصولاً إلى النظام التعددي الأوروبي الذي تهيمن عليه الدول التي أضعفها طرح السيادة من الأعلى بما يتعلق بالبنية التقنية الليبرالية النظامية التي نتجت عن المعاهدات التي تابعت من معاهدة ماستريخت وما بعدها.

لكن مع كل «اللوائح» التي تسيطر على أوروبا، من المهم فهم كيف انهارت الأحزاب في أوروبا باستثناء ألمانيا فقط، جنباً إلى جنب مع عدد من الدول الاسكندنافية. حدثت نفس ظاهرة تفكك الأحزاب السياسية التاريخية في أمريكا الجنوبية مع تفكك التحالف الثوري الشعبي الأمريكي في بيرو ومع الاختفاء السياسي والمؤسسي الحري للتمنوية الراديكالية في الأرجنتين والتحلل السريع للأحزاب «الليبرالية» التاريخية الكولومبية.

لا ننسى ما حدث في المكسيك، حيث تم تحطيم المؤسسات التي أدت إلى التحرير، وتدمير الرفاهية دون إعطاء تلك الدولة التاريخية الاستقرار الذي من شأنه أن يسمح لها بدحر تهريب المخدرات والقتل الجماعي لحكم هذه الأراضي الشاسعة.

أما الولايات المتحدة فهي أمام أعين الجميع، بالرغم من التحول العميق لطبقاتها السياسية بقي النظام الحزبي على حاله، ولكن في السنوات الأخيرة كان النظام الصناعي العسكري هو المحرك الأساسي لقوة أمريكا الشمالية حيث أجبر الانتشار المدمر المتعطر للتمويل غير المنظم، وما ترتب على ذلك من اختلالات وظيفية في تداول النخب.

كتاب «في تاريخ العالم: الدول، الأسواق والحروب»، هو بحث متعمق للغاية يستلهم فيه سابييلي تحفة المؤرخ والناقد الأدبي والفيلسوف في العلوم الاجتماعية الفرنسي رينيه جيرارد في بحثه عن الأصول العميقة لما حدث للعالم في سنوات ما يسمى بـ «العولمة» حتى أزمة الوباء العالمية لعام ٢٠٢٠.

يرتكز الكتاب على مواقف واضحة، ويناقشها على نطاق واسع مع بعض الأطروحات ذات الصلة مثل الانتشار الهائل والمدمر للتمويل غير المنظم في المرحلة الأخيرة؛ أزمة وجود الدولة التي لها تاريخ طويل ومرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وظهور أنظمة فعلية ذات طبيعة تكنوقراطية.

إن الاستجابة لقوى التفكك الحالية لا تجد لها مكاناً في الاتحاد الأوروبي الحالي الذي تقوضه حدوده التأسيسية، ونقاط ضعفه الزمنية. باختصار، هناك حاجة إلى العودة إلى السياسة «الجيدة»، ولكن أيضاً إلى اقتصاد منظم وتمويل يتطلع إلى المجتمعات وليس إلى ربح الفرد. ولكي يحدث هذا، يجب مناقشة قيم الغرب مثل الديمقراطية والحرية والحقوق الشخصية مرة أخرى اليوم، دون نسيانها أو حتى التنازل عنها.

يتعلق الأمر في المقام الأول بانتصار الهيمنة الليبرالية التي نُظرت في ثلاثينيات القرن الماضي في الولايات المتحدة وفي الأربعينيات في ألمانيا. إذا لم يتذكر المرء بوضوح تلك النظريات والظروف الاجتماعية والاقتصادية التي ساعدت - في أكثر من ستين عاماً - على خلقها في العالم، فلا يمكن للمرء أن يفهم ما سيحدث في فترة ما بعد الوباء.

بمعنى آخر إذا لم نهتم بما كانت عليه أوضاع الاقتصاد والمجتمع العالمي قبل فيروس كورونا، فإننا لن نفهم شيئاً مما ينتظرنا في المستقبل حيث بقيت الأسس العالمية لنظم الملكية «السابقة للوباء»، والجذور العميقة للتكوينات الاجتماعية والاقتصادية كما هي من الناحية الهيكلية حتى يومنا هذا.

التحولات السياسية كانت عميقة وبلغت ذروتها في جميع



إنها جزء مما كان يُطلق عليه تشارلز رايت ميلز عالم الاجتماع الأمريكي نخباً عظيمة في السلطة، فقد تشكلت طبقة جديدة للسلطة إلى جانب التجمع الصناعي العسكري والمالي، المنصات الجديدة الآن هي المنصات الرقمية التي لها دور ثقافي ضار؛ لأنها تنشر القيم والمشاريع السلبية.

مسألة موارد الطاقة التي يجب معالجتها من خلال الاهتمام بالتغلب على الدمار الذي لحق بالكوكب الناجم عن التنمية غير المنظمة لإعادة هيكلة استخدام مصادر الطاقة المختلفة؛ مسألة المناطق الحضرية وإيجار الأراضي في عصر التمويل العالمي غير المنظم، الانتقال من الفقر مع القدرة على الدفاع عن كرامة الفرد والحوار الاجتماعي وعلاج التهميش المرتبط بالانحرافات الإجرامية ذات الصلة، وظيفة التطور التقني واستبدال المعلومات المجزأة بالمعرفة، استعادة الوعي الذاتي بين الإنسان والطبيعة ومن ثم العودة مرة أخرى إلى الاقتصاد «الأخلاقي» كمسألة مركزية لمواجهة مواسم التغيير الجديدة حتى تلك الناجمة عن الوباء الذي نعيش معه منذ عام ٢٠٢٠.

نحن في خضم ثورة رقمية تولدت عند غزو الفضاء، وما نراه اليوم هو نتيجة موجة جديدة وكبيرة من الابتكارات التكنولوجية التي لا يمكننا التغاضي عنها. الذكاء الاصطناعي على سبيل المثال، ظهر كتابع لغزو المريخ؛ لأن التكنولوجيا هي الوحيدة التي يمكن أن تسمح للإنسان بالوصول إلى الهدف.

الابتكار التكنولوجي أهم متغير في تطور التاريخ جنباً إلى جنب مع الثقافة الإنسانية، إذا كانت هذه الثقافة لا تمتلك التكنولوجيا فهي مدفع بدون ذخيرة، وإذا لم تكن التكنولوجيا لديها الثقافة الإنسانية فهي قنبلة ذرية تنتج إشعاعات خطيرة. هذه الموجة من الابتكارات هي القدرة على تغيير العالم كما فعلت الثورة الصناعية لكن لا يوجد وعي بهذا حتى في الطبقة السياسية.

• **العنوان: في تاريخ العالم: الدول، الأسواق والحروب**

• **المؤلف: جوليو سابيلى**

• **دار النشر: غويريني وشركاؤهم**

• **بلد الاصدار: إيطاليا**

• **لغة الكتاب: الإيطالية**

• **تاريخ الاصدار: كانون ثاني/يناير 2021**

• **عدد الصفحات: 288**

* **مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا**



الشرق الأوسط وعلى وجه الخصوص بلاد ما بين النهرين كمكان مكمل لمنطقة القلب (أيضاً لمواردها من الطاقة التي لا يمكن الاستغناء عنها) وأيضاً مفتاح للصراع حول مصير إفريقيا التي نظراً لوزنها الديموغرافي وسيطرتها على الموارد الاستراتيجية ستصبح المركز الأساسي للهيمنة على الكوكب.

كتاب مليء بالمفاهيم التي يجب أن نعرفها وهي أن السياسة الاقتصادية الدولية تُنتج ما يسمى الانكماش العلماني الذي يؤدي إلى البطالة والفقر وهذا يحدث بشكل خاص في أوروبا.

والنقطة الأخرى التي يجب التفكير فيها هي أننا بنينا شبكة لا حصر لها من المنظمات التكنوقراطية التي حرمت البرلمانات الوطنية من القوة الفعالة لتمثيل السكان، وصنع السياسة الاقتصادية، فجميع المنظمات لم تُنتخب من قبل الشعب بل ترشحها الحكومات وتخلق تكلفة بيروقراطية هائلة وسلسلة من الأخطاء الاقتصادية .

إن الرأسمالية توقفت عن العمل وإنتاج الوظائف والثروة، وباتت تنتج الفقر والتلوث وتدمير المناخ. هناك حاجة لمزيد من أشكال النشاط الاقتصادي إلى جانب المشروع الرأسمالي مثل المشاريع الصغيرة والمتوسطة الأكثر صحة والتي لا تزال بلدان مثل إيطاليا وإسبانيا واليونان تدعمها، يجب تقليص القوة غير العادية للشركات متعددة الجنسيات

وهي قوة هائلة؛ لأنها كيانات فوق وطنية ويساعدها مئات المحامين وهم تجار قانون يبدلون قصارى جهدهم لتجنب دفع الضرائب، ويدفعون من أجل المزيد من تضخم الأرباح، لديهم تأثير قوي على الصحافة والأحزاب السياسية والبرلمانات وحتى على الدول.

اختارت مديريها من بين أولئك الذين كانوا مراسلين في دول كبيرة مثل الاتحاد السوفيتي، أو الولايات المتحدة؛ لأنه من أجل شرح حياتنا الوطنية كان من الضروري فهم كيفية تحرك العالم.

في الثمانينيات من القرن العشرين كان كل شيء قد تغير ويوحى- بأنه بعد سنوات النمو - من الخمسينيات إلى السبعينيات من القرن العشرين - أحدثت تلك الليبرالية الاقتصادية الجديدة تراخياً في العالم، وبشكل خاص في البناء المؤسسي الأوروبي والعالمي القائم على أساس سلسلة من المعاهدات والهيمنة.

النخب الغيرالمصرح لها أن تحكم العالم هي تلك التي دافعت أمس واليوم عن دور الدولة ليس فقط في فرض اقتصاد السوق، ولكن أيضاً في فرض تنظيم دقيق له من خلال إنشاء مؤسسات دولية هدفها الوصول إلى الدولة الفاضلة والسلام العالمي، لكن صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة الصحة العالمية، وأخيراً المعاهدات الأوروبية التي توالى تدريجياً ليسوا من دعاة السلام العالمي. ما حدث في باريس عام ١٩٢٨، حيث تم التوقيع على ميثاق كيلوغ-برياند وهو المكان نفسه الذي عُقد فيه الاجتماع الأول لعصبة الأمم بالفعل في عام ١٩٢٠، لم يكن سوى مقدمة للتحوّل القهري المتزايد للحكومة العالمية والذي حدث بكتافة متزايدة منذ نهاية السبعينيات مع ظهور التمويل غير المنظم ورعاية عائلات من أمريكا الشمالية للوصول إلى السلطة. قوة لم تتأسس على مبدأ الواقعية بل على العكس من ذلك، على مبادئ النزعة الإنسانية للمحافظين الجدد على خطى ليو شتراوس الأيديولوجية. إن الحرب أحادية القطبية، كما عرفها البروفسور ديفيد كاليو في أعماله الأساسية ستصبح العقيدة العالمية الجديدة لـ «الأمميين» وبالتالي، هم دائماً من المؤيدين النشطين للحكومة التكنوقراطية غير المنتخبة والمفوضة. أوروبا، مثال مأساوي فهي خاضعة لسيطرة المعاهدات التي ليس لديها دستور وقائمة فقط على علاقات مع القوى الوطنية المحمية باللوائح الغيرمعروفة للغالبية.

الآن تحليلات الصورة العالمية لا يزال يُرَوَّج لها من قبل المؤسسات الضردية، ومراكز الدراسة المؤهلة ومراكز الجيش الإستراتيجية وغيرها. ومع ذلك، فإن علاقة هذه التحليلات بالمناقشة العامة محدودة للغاية.

دور بكين في الإطار الدولي الجديد بين هشاشة الهيكل الاقتصادي والاجتماعي الصيني والدافع للسيطرة على مناطق أكبر من العالم؛ هناك المعركة للسيطرة على البحار كتحدٍ حاسم. السيطرة على قلب آسيا (هارتلاند) كمكان تقليدي لبدء النضال من أجل السيادة العالمية من خلال ربط المحيط الهادئ (ريميلاند) بالبحر الأبيض المتوسط؛



الابتكار في الأماكن الحقيقية: استراتيجيات الازدهار في عالم لا يرحم دان بريزنيتز

وليد العبري *

في جميع أنحاء العالم، أهدرت المدن والمناطق تريليونات الدولارات في النسخ الأعمى لنموذج وادي السيليكون لخلق النمو. لقد عشنا مع هذا النظام لعقود، والنتيجة واضحة: عدد قليل من المناطق والمدن في قمة صناعة التكنولوجيا الفائقة، لكن الكثير يخوض معركة خاسرة للاحتفاظ بالديناميكية الاقتصادية. ولكن كما يوضح هذا الكتاب بالتفصيل، هناك نماذج أخرى للنمو القائم على الابتكار، لا تعتمد على صناعة التكنولوجيا الفائقة المزدهرة. يجادل بريزنيتز بأن مقدمي الأفكار المهيمنة على الابتكار لديهم فهم ضعيف للصورة الكبيرة للإنتاج العالمي والابتكار.

جيدة إذا كانت كذلك؟، يفتح هذا الكتاب عقل القارئ على طرق جديدة للتفكير في الابتكار والنمو. وتقديم هجوم مباشر على دين البدء وأهم وصيته: استخدام رأس المال الاستثماري (VC) كأساس للنمو. لقد حقق رأس المال الجريء الوضع النموذجي للمؤسسة «التي لا بد من امتلاكها»، بينما هو في الحقيقة مجرد حل واحد، وليس ناجحا للغاية، لحل مسألة كيفية تمويل الابتكار. يقوم الكاتب بذلك من خلال شرح كيفية عمل المستثمرين الجريئين حقا وكسب المال (ولمن)، وأين ومتى ينجحون (نادرا فقط في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا الحيوية)، ماذا يعني ذلك للشركات التي يمولونها، ومن يُسمح له أن يكون جزءا من هذا الحزب، وما هي التأثيرات على المجتمعات في الأماكن التي ينجح فيها رأس المال الجريء (مستويات عدم المساواة التي شوهدت آخر مرة في العصر الذهبي). إنها تستخدم الأبحاث حول إسرائيل، ووادي السيليكون، لتوجيه تلك النقاط إلى الوطن.

كما يدرس الكاتب خيارا مختلفا، ولكنه محير بنفس القدر، لمحاولة «إعادة» التصنيع التقليدي، ووظائف خطوط الإنتاج عالية الأجر التي اختفت من مناطق عديدة منذ عقود. لتحليل التطبيق العملي لهذه الاستراتيجية، يستكشف الفصل التغييرات الأخيرة في مشهد الإنتاج العالمي الذي نتج عن الرقمنة والاتجاهات الأخرى. ماذا حدث للمصنعين الرأسماليين في العام الماضي؟ كيف يُترجم الابتكار إلى نمو في عالم يتحول إلى العولمة؟ لجعل هذه التغييرات أقل تجريديا وأكثر واقعية، تستخدم الفصول بعض دراسات الحالة التاريخية. أولا، يدرس تاريخ صعود وهبوط التصنيع الابتكاري في ميشيغان وبنسلفانيا؛ ثم ينظر إلى النجاح القصير (والانحدار الطويل والميرير) لنجوم «التصنيع الراقى» في التسعينيات؛ إلك غروف، وكاليفورنيا، وكولورادو سبرينغز، وكولورادو. بعد القضاء بشكل فعال على المخدرين القاتلين الحاليين في وادي السيليكون، وجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى، يقود الفصل القارئ إلى تقدير الخيارات الأخرى

ينقسم الآن إلى أربع مراحل، تتراوح من اختراع أدوات وتقنيات جديدة إلى طرق جديدة لتجميع المنتجات النهائية. تتطلب كل مرحلة من هذه المراحل نظاما بيئيا محليا مختلفا للنمو القائم على الابتكار، ويؤدي النجاح في كل مرحلة إلى نتائج اجتماعية مختلفة تماما. يقدم الفصل المفاهيم الأساسية للفكر التي سيتم استخدامها في جميع أنحاء الكتاب، وتنظيم سرد للقارئ. سيسمح هذا للقراء بالتخلي عن «قصتهم» الحالية (والخاطئة) عن كيفية عمل العالم، حتى يتمكنوا من تطوير فهم جديد جذري للابتكار والنمو الاقتصادي المحلي في ظل العولمة.

يقر هذا الكتاب بأنه بالنسبة للعديد من المناطق، فإن فكرة جذب الشركات الناشئة في مجال التكنولوجيا المتطورة تكاد تكون فكرة لا تقاوم. يبدو أن كل مجتمع يطمح إلى أن يصبح وادي السيليكون التالي. لكن هل هذا ممكن؟ يجعل هذا الكتاب هذه الدروس ملموسة من خلال التوسع في الصعود السريع، وحتى التدهور الأسرع والأعمق، لأول وادي السيليكون في أمريكا - كيلفلاند، وأهايو. ثم يُظهر الاستحالة شبه المستحيلة لمحاولة أن تصبح وادي السيليكون التالي من خلال تحليل الفشل الغامض لأتلانتا، جورجيا - المدينة التي اتبعت بجد كل النصائح التي قدمت إلى مركز بدء جديد طموح، ولكن بطريقة ما لم تُترك دائما إلا مع القدرة. سنرى كيف كانت شركات أتلانتا في نقاط زمنية متعددة هي المبتكر الرائد مع أفضل المنتجات في أحدث تقنيات المعلومات والاتصالات (ICT)، فقط لتتعثر وتسيطر عليها شركات وادي السيليكون دون ترك أي تأثير واضح على المنطقة. ثم يجلب معه أبحاث الشبكات الاجتماعية ومفهوم التضمين لشرح سبب كون محاولة إعادة إنشاء وادي السيليكون مشروعا محكوما عليه بالفشل (ومكلف).

«لكن»، قد يقول بعض القراء، «انظر إلى إسرائيل، انظر إلى سان دييغو - لا يزال من الممكن أن تصبح وصلة من السيليكون». الذي يجيب عليه هذا الكتاب: «هل ستكون فكرة

إنهم يخلطون بين الابتكار والاختراع. في تفانيهم للشركات الناشئة، يرفضون الاعتراف بأن العقبة الحقيقية أمام النمو بالنسبة لمعظم المدن هي القوة الساحقة للمراكز الحقيقية، التي تستحوذ على كميات هائلة من المواهب والأموال. تُضيق المجتمعات الوقت والمال والطاقة في اتباع هذا الطريق إلى أي مكان. بدلا من ذلك، يقترح دان بريزنيتز أن تركز المجتمعات على المكان المناسب لها ضمن المراحل الأربع في عملية الإنتاج العالمية. يكمن النجاح في فهم الهيكل المتغير لنظام الإنتاج العالمي، ثم استخدام تلك الأفكار لتمكين المجتمعات من التعرف على مزاياها الخاصة، والتي بدورها تسمح لها بتعزيز الأشكال المدهشة من الابتكار المتخصص. تتمتع جميع المحليات بمزايا معينة تتعلق بمرحلة واحدة على الأقل من عملية الإنتاج العالمية، والحيلة تكمن في التعرف عليها.

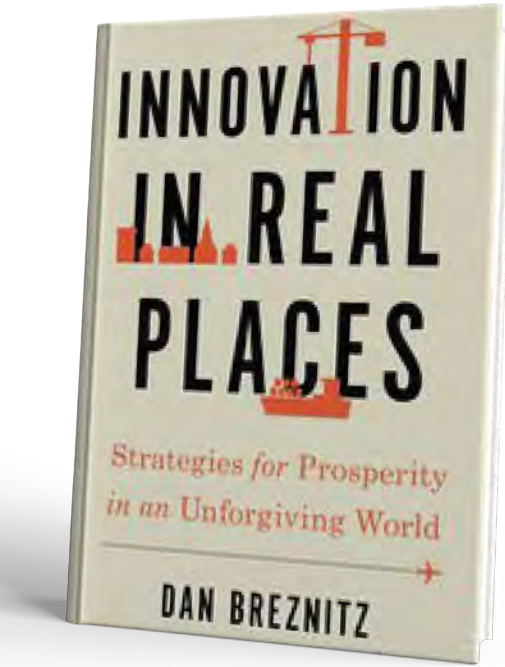
يتحدث الكاتب في بداية كتابه ويذكر القارئ بالفرق بين الابتكار والاختراع. الابتكار هو العملية الكاملة لأخذ أفكار جديدة، وابتكار منتجات وخدمات جديدة أو محسنة، والتي يتم بيعها بعد ذلك في السوق. يأتي في جميع مراحل الإنتاج والبيع وما بعد البيع للمنتجات والخدمات. لم يكن التأثير الحقيقي للابتكار في اختراع محرك الاحتراق الداخلي، ولا حتى اختراع أول سيارة. يتمثل الأثر الحقيقي للابتكار في التدفق المستمر لتنفيذ الاختراعات الكبيرة والصغيرة لجعل السيارة منتجا أفضل وأرخص سعرا، ولتحسين طريقة إنتاجها، ولإيجاد طرق بارعة باستمرار لبيع وتسويق وخدمة السيارات. نحن نهتم بالابتكار لأنه المحرك الوحيد للنمو المستدام طويل الأجل وتحسين الرفاهية. هذا هو سبب خطورة الخلط بين الابتكار والاختراع، والذي يُصادف أنه الخطأ الأكثر شيوعا لوضعي السياسات ووسائل الإعلام والجمهور المتعلم.

أما في الفصل الأول من هذا الكتاب فيذكر دان بريزنيتز أن مشهد الإنتاج لم يتغير فحسب، ولكن مشهد الابتكار بأكمله قد تغير أيضا. تعني العولمة أن الابتكار في السلع والخدمات



الثلاثة، ويبدأ الفصل الأول من هذا الجزء بعنوان: « نظام مكافحة حقوق الملكية الفكرية الخاص بنا»، إذ يشرح هذا الفصل لماذا تُعد حقوق الملكية الفكرية (IPR)، المستخدمة بشكل صحيح، حلاً أيضاً للمشاكل الحقيقية المتعلقة بعدم ملائمة الابتكار، وعدم قابليته للتجزئة. في ظل ظروف السوق الحرة، تؤدي هذه العوامل إلى وضع لا يستحق فيه الابتكار، لأنه، حتى لو نجح، لن يتمكن المبتكر من التمتع بأرباح عالية بما يكفي لاسترداد الاستثمار الأولي. النظرية الكامنة وراء حقوق الملكية الفكرية هي أنه من خلال منحنا تقليل مشاكل عدم الملاءمة وعدم القابلية للتجزئة، وبالتالي تحفيز الابتكار. ومع ذلك، فإن نتائج الرفاهية الإيجابية للابتكار لا تحدث إلا عندما يتم نشرها على نطاق واسع وتنتج الكثير من الآثار غير المباشرة، والتي بحكم تعريفها لا تدر أرباحاً. وبناء على ذلك، فإن الحلول التي تمنح حقوق ملكية قوية وكاملة تهدد بإبطاء الابتكار. على هذا النحو، يمكن أن تصبح هذه الحلول علاجاً أسوأ من المرض. للأسف، لقد وصلنا إلى نقطة حيث تفضل أنظمة براءات الاختراع، وحقوق التأليف، والنشر والعلامات التجارية والأسرار التجارية الخاصة بنا. بالنسبة إلى المناطق المحلية، تعمل حقوق الملكية الفكرية الحالية كقيد عقابي على الشركات وحرية رواد الأعمال في العمل. وفقاً لذلك، يجب على المجتمعات التي ترغب في التمتع بالنمو المستدام القائم على الابتكار أن تتلاعب بالنظام لحماية حرية مبتكريها في العمل. يختتم الجزء ببعض الأماكن الواعدة التي يمكن للمجتمعات من خلالها تحويل نقاط الضعف إلى قوة. تهدف هذه الأمثلة إلى تسليط الضوء على العديد من الطرق للمضي قدماً حتى في ظل الظروف الحالية لنظام عالمي لحقوق الملكية الفكرية معطل وغير فعال.

يختتم هذا الكتاب مذكراً القارئ بأن فعل الابتكار هو ما يجعل الإنسان فريداً، ويحث على الإيمان القوي بالإبداع البشري. كما يلخص بإيجاز النقاط الرئيسية للكتاب، وهي الابتكار مقابل الاختراع، والابتكار والنمو الاقتصادي المحلي، والتجزئة العالمية للإنتاج، ومراحل الابتكار، والفاعلون الوحيدون للابتكار، والأهداف الثلاثة لسياسة الابتكار، وكيفية الالتزام بها.



لكن كيف يجب أن يدير المجتمع جهوده؟ يجب أن تفكر المناطق المحلية التي تسعى إلى تعزيز النمو القائم على الابتكار بعناية، ليس فقط في الإجراءات المطلوبة، ولكن أيضاً في الوكالات العامة المختارة لقيادتها. اللافت للنظر أنه لم يتم إجراء أي بحث تقريباً حول كيفية تصميم وكالات الابتكار وتطويرها. علاوة على ذلك، فإن أي شخص يريد أن يصمم وكالات الابتكار على غرار المنظمات الناجحة يمكن أن يغفر له؛ لأنه ينتهي بالارتباك التام. تشمل وكالات الابتكار الفعالة منظمات مركزية كبيرة وقوية، بالإضافة إلى المؤسسات الصغيرة ذات التمويل الخفيف. تمتلك بعض وكالات الابتكار أهدافاً تكنولوجية واضحة، وتدير الكثير من الأبحاث بنفسها، في حين فوض البعض الآخر هذه القرارات إلى الجهات الفاعلة في القطاع الخاص. باختصار، هناك تباين كبير، بدون دروس واضحة. يتخطى الفصل هذا الضباب من خلال إظهار أن التصاميم المختلفة لوكالات الابتكار تشبه نماذج الابتكار المختلفة اللازمة للتميز في مراحل الإنتاج المختلفة، وكل منها يتطلب مجموعة مختلفة من القدرات. وبالتالي يعتمد التصميم المؤسسي الفعال على مهمة الوكالة أو نوع الابتكار المحدد الذي تسعى إلى متابعته. يميز هذا الفصل بين أربعة أنواع مختلفة من وكالات الابتكار، موضحة في دراسات الحالة المتعددة: «المحدثون الموجهون»، و«ميسرو الإنتاجية»، و«المعطلات التي تقودها الدولة»، و«عوامل تمكين التحول». تعكس هذه الفئات خيارات مختلفة تتعلق بـ (أولاً) مستوى مشاركة القطاع العام في البحث والتطوير، (ثانياً) وضع الوكالات داخل القطاع العام، و (ثالثاً) درجة التضمين في الصناعة الخاصة. بناء على دراسات الحالة هذه، يناقش الكاتب الآثار المترتبة على المجتمعات أثناء تخطيطها لمستقبلها القائم على الابتكار.

(والأفضل) من خلال الابتعاد عن الإطار الثنائي للابتكار / التصنيع والعودة إلى عالم الإنتاج المجزأ، ولكنه هذه المرة مسلح بوجهة نظر جديدة.

يتحدث الجزء الثاني من الكتاب عن الابتكار والازدهار، ويبدأ الفصل الأول من هذا الجزء بعنوان: «أربعة أفضل من واحد - لكن أولاً، دعونا نخطط لها بشكل استراتيجي» إذ إن رحلة البناء لتطوير استراتيجية للنمو المحلي القائم على الابتكار تكون في كل مرحلة من مراحل الإنتاج. يذكر القارئ بأن هناك اثنين فقط من الفاعلين في مجال الابتكار في الاقتصاد (أفراداً وشركات)، وثلاثة أهداف فقط لسياسة الابتكار: أولاً، تزويد وكلاء الابتكار بالقدرات اللازمة، ثانياً، بناء واستدامة النظام البيئي الذي فيه يمكنهم الازدهار، وثالثاً، إيجاد أكثر الطرق فعالية لتحفيز الجهات الفاعلة المذكورة على الابتكار. ثم يقدم مفهوم نماذج النمو لتطوير، وبناء أفكار الأسس الأربعة لسياسة النمو المحلية القائمة على الابتكار: أولاً، تدفقات المعرفة المحلية والعالمية والطلب والمدخلات. ثانياً، توريد وإنشاء السلع العامة وشبه العامة، ثالثاً، نظام بيئي محلي يُعزز الفوائد على مستوى الشركة من الأساسيين السابقين، وأخيراً، إدارة التطور المشترك للأساسيات الثلاثة السابقة، والدور المتغير للسياسة العامة مع نمو اللغة المحلية وتفوقها. باستخدام هذه الأدوات، يحلل الفصل حالة تخصص الابتكار في المراحل الأربعة من خلال حالة شنزاهن.

كما يقدم هذا الفصل، الذي يستخدم الأدوات والمفاهيم التي تم تطويرها في الفصل السابق، الحالات الخاصة بالمراحل الثلاث من منتجات الجيل الثاني وابتكار المكونات، والمرحلة الثانية من التصميم وتطوير النموذج الأولي وهندسة الإنتاج. عند تحليل هذه المراحل، نتعلم ليس فقط كيفية التفوق فيها، ولكن أيضاً مزاياها الكبيرة للنمو المحلي طويل الأجل والعدل مقارنة بمحاولة نسخ نموذج وادي السيليكون. يتم استخدام تحليل شامل وتاريخي لنمو صناعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التايوانية لجعل دروس المراحل الثلاث ملموسة. وبالمثل، بالنسبة للمرحلة الثانية، نستخدم حالة تحول ريفيرا ديل برينتا في شمال شرق إيطاليا إلى أهم مركز في العالم للأحذية النسائية الفاخرة.

كما يركز هذا الجزء من الكتاب، الذي يستخدم الأدوات والمفاهيم التي تم تطويرها في الفصل السابق، على المرحلة الأكثر حداثة من الابتكار - منتج جديد وابتكار تكنولوجي. يحلل أولاً أحد أنماط النجاح - نموذج وادي السيليكون - مستخدماً قصة إسرائيل وإظهار جاذبيتها وفوائدها المهمة، ولكن أيضاً سلبياتها وقبورها الكبيرة، لا سيما فيما يتعلق بالمساواة والإنصاف والازدهار على المدى الطويل. يقدم هذا الجزء من الكتاب بعد ذلك نموذجاً بديلاً للابتكار في المرحلة الأولى، وهو نموذج لا يتم بناؤه حول النماذج المالية الضخمة والاكتمالات العامة، ويستخدم أنماطاً مختلفة من تمويل الابتكار بدلاً من نموذج رأس المال الاستثماري المفرط. تعمل قصة التحول المستمر في هاميلتون، كندا، على جعل هذه الدروس ملموسة.

عنوان الكتاب: الابتكار في الأماكن الحقيقية... استراتيجيات الازدهار في عالم لا يرحم
المؤلف: دان بريزنيتر
سنة النشر: 2021م
دار النشر: جامعة أكسفورد للنشر



كوفيد وعالم ما بعد كوفيد: قراءة إسلامية

تحرير: تي. كيه. إقبال

فيلابوراتو عبد الكبير *

حتى الآن لم يصل العالم إلى بر الأمان من قبضة جائحة كورونا. وموجات الجائحة لا تزال تجتاح جميع مناحي الحياة شرقاً وغرباً. إن أكثر الوفيات بعد الحرب العالمية الثانية كانت نتيجة لإصابة كوفيد. إن كانت الأولى ترتبت على قتال بين الدول العظمى فقد كانت الثانية بسبب فيروس لا تمتد حياته إلا لحظات قليلة. ظاهرة سيطرت على حياة النسل الإنساني جميعاً وبدلت «الفيزيولوجيا» الخاصة بهم، على نحو لا نجد له مثيلاً في التاريخ.

من صبَّ كل اهتمامه على الواقع الظاهري لهذا العالم أن يتقبل حقيقة أن هذا الواقع قد يختفي في أية لحظة مثل نفضة دخان، وسوف يحدث هذا في لحظة ما. فكما يقول عالم الاجتماع أسعد وطفة: «لقد جاء كورونا ليهز كثيراً من المسلمات المعرفية الجديدة والأساطير الفكرية القديمة، فأيقظ الإنسانية من غفوتها العنيفة الضاربة في الاستسلام للطمأنينة الحضارية الجارفة». هذه اليقظة أو الصدمة أسقطت «الطروحات الأسطورية لنزعة ما بعد الإنسانية التي ترى في عالم الإنسان القادم ومستقبله الجديد صرحاً للخلود الإنساني الحافل بالمعجزات الحضارية والمدهشات التكنولوجية التي تعتمل في قلب الحضارة المعرفية والثورة الرقمية المعاصرة».

ويخصص الدكتور رفيق عبد السلام، أحد قيادي حزب النهضة التونسي، دور الدولة في عالم ما بعد كوفيد. يشير الكاتب إلى فشل هتاف الليبرالية الجديدة التي كانت تطالب بتقليل دور الحكومة في عملية التنمية في جميع المجالات من التربية والصحة والخدمات العامة حتى يتم تفويض هذه المجالات إلى شركات خاصة احتكارية. منذ ثلاثة عقود كانت الحكومات في أوروبا وأمريكا تتراجع تدريجياً عن مجالات مثل الصحة العامة والتربية والقطاع العام، والخصخصة كانت على قدم وساق حتى في الهند. كان الدافع وراء هذا أنه سيساعد على تقليل تكاليف الحكومات وتسهيل إدارة الأعمال. ولكن كورونا، كما يقول رفيق عبد السلام، أثبت أن لدور الحكومة أهمية خاصة في رعاية الصحة العامة، مشيراً إلى ما حدث من تدخل الحكومات عند انهيار البنوك عام ٢٠٠٨، ويقول إن هذا ليس بشيء جديد. وكارثة كوفيد أثبتت بطلان الفكرة الليبرالية التي تفيد بأن اقتصاد السوق الحر في حالة سقوطه سيتم تصحيح مساره بنفسه باستخدام أدواته الخاصة بدون أي تدخل من جانب الحكومات. يصف آدم سميت تلك الأدوات بالأليادي الخفية. يأمل الكاتب في استرداد الحكومات دورها السابق في خدماتها العامة

هي عن الأسباب الأخلاقية الخفية خلفها. جائحة مثل كوفيد حرمت علينا مؤقتاً المرافق الحياتية تلقي علينا دروساً بالغة تفيد بأن حاجات الإنسان محدودة. وقد قال الغاندي إن ما يحتاج إليه كل واحد منا متوفر على العموم بالكفاية غير أن شره الإنسان لا يشبع بما فيها. وينقل الحسيني هنا آية من القرآن تصدق قول الغاندي: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين» (٧: ٣١). إن الاستهلاك قد تجاوز كل الحدود. هذا الشره هو الذي يجعل الخلل في توازن الاقتصاد، وهو الذي يسبب الكوارث البيئية والظلم والقمع. إن كنا مستعدين لأن نتعوذ على عدم الإسراف يمكننا حل كثير من مشاكلنا. وقد ظلمنا الطبيعة إلى أقصى حد. نتيجة لجنوننا في ترف الحياة كنا نهب الطبيعة حتى غدت المياه والهواء والبيئة كلها مسمومة. وقد صدرت تقارير عن دراسات تفيد بأن السبب الرئيسي وراء كوفيد هو الخلل الذي وقع في توازن البيئة. أثبتت تلك الدراسات أن هذه الفيروسات كثيراً ما تخرج من بقعات ساخنة من التنوع البيولوجي. ومن أهم أسبابها كثرة التصنيع وفقدان توازن البيئة: «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس» (القرآن ٣٠: ٤١)

الكاتب الفلسطيني سامح العودة أيضاً يتفق مع أفكار الحسيني الأساسية ولكن في أسلوب مختلف. هل يستطيع كورونا أن يعيد مركزية الدين في القضاء على الخوف؟ هذا هو السؤال الذي يطرحه سامح العودة في مقاله مؤكداً على أن الحادثة التي أعلنت القضاء على الخوف بعد إنقاذ الإنسان من «سراب» العقائد الدينية إنما عملت على أن تنتج مخاوف جديدة. على خلفية المخاوف والهواجس التي خلفها كوفيد يحاول سامح العودة أن يثبت أن الإنسان يحتاج إلى مساند قوية تتجاوز حدود العالم المادي والعناصر الميتافيزيقية لتحقيق الأمن والأمان في حياته. وينقل هنا قول المفكر الأوربي الذي اعتنق الإسلام غاي إيتون: «يصعب على

لقد أصبحت المعادلة بأن تكون «الإنسان في عالم الفيروس» حيث كانت سابقاً «الفيروس في عالم الإنسان». وقد صدرت دراسات كثيرة كما جرت قراءات مختلفة في لغات متعددة تحلل آثار رد فعله الشديد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. وهناك أيضاً دراسات لاهوتية وروحانية. أما ميزة هذا الكتاب الذي يحتوي ١٩ مقالاً فإنه يسعى إلى أن ينظر إلى ظاهرة هذا القرن الخطيرة ودروسها ونتائجها من خلال منظور إسلامي. قلماً نجد أحياناً مثل كوفيد هزت حياة المسلمين الدينية والثقافية والاجتماعية. توقفت صلاة الجماعة والجمعة والتراويح في كل مكان. حتى العمرة والحج من خارج المملكة العربية السعودية مُنعت فترة. ولو أن هذه التجارب ليست الأولى من نوعها إلا أن شدتها لم تبلغ دولياً إلى هذا الحد. هذا الكتاب يبحث كيف أن العالم الإسلامي والمجتمعات الإسلامية تفاعلت مع هذه التجربة الفذة. إضافة إلى مقالات باللغة المالايالامية توجد في الكتاب ثلاثة مقالات مترجمة لكل من الكتاب العرب وضاح خنفر وسامح العودة والدكتور رفيق عبد السلام ومقالة مترجمة عن اللغة الأردنية للدكتور سعادة الله الحسيني، أمير الجماعة الإسلامية لعموم الهند. وهذه الأخيرة هي فاتحة الكتاب، وهي أصلاً خطبة ألقاها في مقر الجماعة في نيودلهي عام ٢٠٢٠ أبريل ١١. الحسيني المفكر الإسلامي وصاحب عدد من الكتب القيمة يطرح في خطابه عدة أسئلة عن كوفيد بأبعادها الفلسفية والروحانية. ويلاحظ أن كوفيد ليس مجرد وباء يمكن معالجته من خلال تحليل علمي، بل هو مرض يُبرز كثيراً من الأمراض الاجتماعية مثل الظلم والطغيان وعدم المساواة والبنخ وتلويث البيئة. يُذكر الحسيني المسلمين بأن تفاعل من يمثل الإسلام تجاه كوفيد لن يكون سلبياً بل يجب عليهم، مع اتخاذ جميع الوسائل الوقائية، المصارحة للمجتمع الإنساني بالحقائق المرة التي يكشف عنها كوفيد. يؤكد على أن الأسئلة الواجب طرحها على خلفية هذه الجائحة إنما



أن دورها لا ينتهي إلى الأبد، مشيراً إلى ركنها الأساسي من الاقتصادي والتقني، ويقول إن جانبها الاقتصادي قد يتراجع بسبب كورونا إلا أن التكنولوجيا ستواصل الدفع بالعملة إلى الأمام، ولذلك فالعملة ستستمر ولكن بوتيرة مختلفة وبقيادة متعددة الأقطاب.

ماذا ستكون التأثيرات البارزة لكورونا في المستقبل؟ يلقي الكاتب الضوء على أربعة تأثيرات. أولها إبطاء العملة الاقتصادية. ستسارع الشركات والدول إلى امتلاك بنى تحتية ذاتية بتقليل اعتمادها على الأسواق العالمية، لا سيما في المنتجات الحيوية، وبالطبع فإن أرباح الشركات سوف تقل. ثانياً أن العالم سيتجه نحو الانكفاء بدلا من الانفتاح. لن يقف الانكفاء عند حدود الاقتصاد بل سيتعداه إلى تعزيز نزعات قومية وعنصرية. وثالثها أن الزعامة الأمريكية للعالم ستراجع. رابعها أن النظام الدولي سيتشكل بذي قطبية مرنة بحيث سيقوده قطبان رئيسان هما الصين وأمريكا. وسيستفيد من تنافسهما لاعبون إقليميون مثل تركيا وإيران. هل ستكون العملة القادمة صينية؟ يرى الكاتب أن الصين قد تحقق صعودا اقتصاديا، إلا أنها لن تحتل المكانة التي تحتلها أمريكا على المسرح العالمي، فعزلة الصين الثقافية، وارتفاع الفجوة بين الساحل المتطور والداخل الصيني الفقير، ودكتاتورية الحزب الواحد، وسياسة التحكم المركزي، والانغلاق الإعلامي لن تكون مفيدة في بناء منظومة عالمية تكون الصين مركزها. وقد شهدنا الحالة الأسوية التي تعرضت لها حقوق الأقليات في الصين وخاصة بطشها بالمسلمين الإيغور. عالم ما بعد كورونا في نظر الكاتب ليس عادلا ولا آمنا، لكنه سيدفع حتماً نحو بديل أكثر عدلا ولو بعد حين؛ لأن التاريخ خير شاهد على أن الخير لن يموت، قد يتراجع لبعض الوقت، ولكن طغيان الشر سيكون خير محفز للنهوض.



تسرع حركة التاريخ في اتجاهات ثلاثة: أولا أنها تحفز الناس على اعتناق حلول استثنائية للتعامل مع الخطر الداهم؛ فتزود المجتمعات بالطاقة اللازمة للخروج من إلف العادة إلى ماهو غير مألوف، لا على مستوى السلوك فحسب بل على مستوى الاعتقاد والفكر أيضا. وثانيا أن الأزمات تطيح بالنظم الهرمة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، وتدفع إلى الأمام بمنظومات أخرى واعدة بتجاوز الأزمة، فالأزمة فرصة للإطاحة بالقديم الهرم وولادة الجديد الفتى، بشرط أن يكون القديم قد اشتهر بين الناس فشله، وأن يكون الجديد قادرا على بث الأمل في النفوس. ثالثا أن الأزمات تسرع تغيير موازين القوة الدولية، فتعزز اتجاهات استراتيجية وإن كانت ضعيفة كامنة، وتضعف أخرى وإن كانت قوية ظاهرة. ويضرب هنا مثالين. أولهما طاعون جستينيان (541-542) قبل ولادة النبي بثلاثين عاما. وقد زلزل العالم وأوهن كلا من الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية اقتصاديا وسكانيا بحيث اختلت موازين القوة الدولية مما ترتب على انهيار القطبين الدوليين على أيدي الفاتحين المسلمين. والمثال الثاني هو الطاعون الكبير (1346-1351) الذي أفنى قرابة ربع سكان الأرض ولكن استفاقت أوروبا بعده من عصور الظلام البالية وانهار في إثرها نظام الإقطاع المستبد وبدأ المفكرون البحث عن مناهج في الاقتصاد والاجتماع أكثر عدلا ومساواة، كانت تعد بداية النهضة الأوروبية.

ويرى الكاتب أن النظام العالمي الذي اهتز تحت وطأة كورونا أمريكي بامتياز. ويصدق رؤيته سقوط ترامب في الانتخابات الأخيرة. أما العملة الأمريكية فيرى الكاتب

بعد أن يطوي كوفيد بساطه من خريطة الوجود، ويرى أن هذه العودة ستكون في اتجاه صحيح بعد مرحلة تم فيها تفويض وسائل حياة الناس إلى رحمة السوق الحر ومنطقه في الأرباح والخسائر. ويعد هذا إحدى فضائل كوفيد. ولكن تجب الحيطة والحذر في مصير تلك العودة حتى لا تتبلور إلى نزعة استبدادية وإفراط في استخدام السلطة. وإلى تفاصيل هذه الإفراط السلطوي يشير الدكتور تاج آلوفاي في مقاله المعنون بـ«كوفيد ومخالفات حقوق الحريات عامة» بإلقاء الضوء على محاولة كثير من الحكومات للتغلغل إلى سرية عامة الناس وخاصة استخدام السلطات الأمنية في الهند قوة مضطرة في قمع الاحتجاجات التي جرت ضد القوانين الجديدة الظالمة في حقوق الجنسية.

ما هي التغييرات الدراماتيكية التي أتى بها كوفيد في الأسر المسلمة؟ هذا هو الموضوع في مقال حسنى ممتاز، المقال الوحيد الذي كتبه امرأة في هذه المجموعة. تقدم حسنى، الباحثة في الجامعة الإسلامية في ماليزيا، هذه التغييرات في أسلوب سلس يجذب إليه القراء. ومقال صمد كوناكافو بعنوان «فيروس العنصرية ضد المسلمين» كما يوحي العنوان نفسه يدور حول الكراهية التي أنتجتها جهات متطرفة في الهند ضد المسلمين على خلفية جائحة كورونا، مثل الشائعات التي اتهمت جماعة التبليغ بسبب انتشار الوباء في عاصمة دلهي.

الكاتب صالح النظامي الضوناني في مقاله يفتح لنا صفحات الأوثبة من التاريخ الإسلامي ويشرح كيف أن المسلمين تفاعلوا مع تلك الأزمة في قديم الزمان بينما يناقش أس. أم. زين الدين في مقاله التعليمات الإسلامية في معالجة الصحة العامة ودور المستشفيات التي أقامها المسلمون في القرون الماضية في تطبيق الوسائل الوقائية في مقاومة الأوثبة. أما رحمة الله المغربي فنقلنا عما حدث من إغلاق المساجد وتوقف الحج في التاريخ بيناقتش الإستراتيجيات التي اتخذتها الدول الإسلامية المختلفة تجاه كوفيد 19. ونقرأ في مقال «الطبيعة تساؤل والعدل إجابة» لتي. محمد فيلام أجوبة تنبثق من العقائد الإسلامية لما يطرح الملحدون من الأسئلة في زمن كوفيد. يؤكد الكاتب على أن المذهب الطبيعي الذي يتبناه الملحدون الجدد إنما هو طبعة جديدة من الشرك وأن فكرة الإسلام عن الله والطبيعة مختلفة تماما عن فكرة الملحدون في هذا الصدد. ويعرض الكاتب جُميل في مقاله -ثمة حياة حتى في مرحلة ما بعد كوفيد- الموقف الذي يجب على المسلمين أن يتخذوه بناء على وجهة نظر القرآن حين يواجهون الكوارث الطبيعية والأوثبة.

يرى الإعلامي وضاح خنفر في الأزمات العالمية عناصر

• عنوان الكتاب: كوفيد وعالم ما بعد

كوفيد: قراءة إسلامية

• تحرير: تي. كيه. أم. إقبال، عدد

الصفحات: 190

• اللغة: مالايالام: سنة النشر: 2020

• الناشر: دار النشر الإسلامي، كوزيكود،

كيرالا



أن تكون مسلماً في الخطاب الأمني الألماني إيمان عطية وآخرون

زهير سوكاخ *

ما الشعور الذي ينتاب المرء حينما يعي أنه يتم النظر إليه مجتمعيًا وسياسياً بوصفه مشكلة أمنية مُحتملة فقط بسبب انتمائه الديني وخصيئته الثقافية؟ كيف يؤثر هذا الشعور على حياة مُسلمي الغرب تحديداً؟ وكيف يتعاملون معه في حياتهم اليومية وفي علاقتهم وفي عملهم؟ هذه الأسئلة وغيرها تحاول دراسة ألمانية حديثة التعاطي معها.

باللغات العربية والأمازيغية التي عاشت هناك لقرون، أن تتحمل بدايةً تدابير تقييدية مختلفة مباشرة بعد سقوط الأندلس واستيلاء الحكام الكاثوليك من الإسبان والبرتغاليين على السلطة هناك، حيث همت تلك القيود ممارسة دينهم وأعاقت تطور ثقافتهم، ثم ما لبثوا أن أُجبروا على تغيير ديانتهم ليتم بعد ذلك ترحيلهم في نهاية المطاف إلى شمال إفريقيا. أيضاً يشير هذا الفصل إلى سياق تاريخي آخر من العنصرية الغربية والمتمثل في الاستعمار الأوروبي، والذي شهد تغيراً في التمثيل الغربي عن «المحمديين» في كل من «الشرق» و«إفريقيا»، حيث اتخذ التصور القديم عن «خطرهم» صيغة جديدة ارتبطت بالعنصرية الحديثة اتجاههم.

بخلاف الفصل الأول يتضمّن الفصل الثاني تأملات وأفكار حول مفاهيم مركزية ضمن هذه الدراسة، ويتعلّق الأمر بكل من: الحكامة والمواطنة والسياسة القومية وأيضاً العنصرية المؤسساتية إضافة إلى تعريف بأشكال المقاومة الرمزية، التي تمارسها الأقليات ضمن المجتمع المهيمن، وذلك بهدف إبراز الترابط الذي يراه مؤلفو الكتاب قائماً بين العنصرية الحديثة والعنصرية القديمة. في هذا السياق يشير هذا الفصل إلى آليات إنتاج «معرفة» مجتمعية وثقافية محددة عن المسلمين غالباً ما يتم تكثيفها في عنصرية جديدة معادية لهم، حيث يصير هنا لسيناريو التهديد والخطاب الأمني مرة أخرى أهمية كبيرة، ممّا يجعل الترابط بين العنصرية الحالية المعادية للمسلمين بكل من عنصرية ما قبل الحداثة وعنصرية الحداثة واضحة المعالم، بحيث تبدو بعض الموضوعات القديمة حديثة بشكل كبير، بل حتى المواقف الحالية المُقدّمة على أنها «نقد» للمسلمين تبدو قادمة من العصور

يتم فيها مراقبة الأشخاص المنظور إليهم كمسلمين وقياس مدى «انضباطهم» في المجتمع المهيمن عن طريق استهداف سلوكهم وإدراكهم وحركتهم في المجال العمومي بهدف إخضاعهم بشكل مباشر أو غير مباشر لما يُعرف بـ «الثقافة الرائدة»، وهو مصطلح مشير للجدل استحدثه بسام طيبي، يُفهم من خلال هيمنة الثقافة الألمانية على باقي المكونات الثقافية للمجتمع الألماني الذي صار متنوعاً عرقياً ولغوياً وثقافياً. في فصله الأول يقدم الكتاب بدايةً لمحة تاريخية عن تطور أشكال مختلفة من العنصرية الغربية ضد الأقليات في أوروبا بصفة عامة، وعن نشأة العنصرية ضد المسلمين وتحولاتها عبر التاريخ. بصفة خاصة إلى حدود تشكّل الخطاب الأمني الراهن والموجّه بالأساس إلى من يتم اعتبارهم (بناءً على المظهر الخارجي) مسلمون أو من هم كذلك.

يتفق مؤلفو الكتاب أنه من الصعب الجزم علمياً أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر تشكل نقطة بداية محورية للعنصرية ضد المسلمين في الولايات المتحدة وأوروبا وألمانيا وأجزاء أخرى من العالم، كما يتم حالياً الترويج له؛ فبخلاف ما توحى به وسائل الإعلام والدوائر السياسية عن الإسلام والهجرة والاندماج أو بعض الدراسات الأكاديمية المتفرقة، فإن تمثّل الأقلية المسلمة كمسألة قائمة، إضافة إلى الخطاب الذي تشكّل حولها على أنها تهديد للغرب، هو تقليد تاريخي طويل. أكثر من هذا يؤكد هذا الفصل أن التدابير الأمنية المُتخذة حالياً على الصعيد الداخلي والخارجي والموجّهة بشكل خاص ضد المسلمين، يعود معظمها إلى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر في جنوب أوروبا؛ ففي شبه الجزيرة الإيبيرية، على سبيل المثال، كان على المجموعات السكانية المسلمة، الناطقة

صدرت الدراسة هذه السنة بعنوان «أن تكون مسلماً في الخطاب الأمني» وهي تنتمي إلى حقل الدراسات التطبيقية عن العنصرية، لذا فهي لا تقتصر على عرض نتائج الاشتباك النظري لمؤلفيها مع مفاهيم راهنة مثل العنصرية والغيرية والوصم والخطاب الأمني والحكامة، بل تعرض أيضاً لنتائج المقابلات الفردية والمناقشات الجماعية التي جرت ضمن الشق الميداني للكتاب، حيث يتحدث فيها مشاركون مسلمون من فئات اجتماعية مختلفة من المجتمع الألماني عن تعاطيهم، أفراداً وجماعات، مع الخطاب الأمني السائد في بلد غربي له تاريخ غير هيّن في علاقته مع «الآخر» الثقافي مثل ألمانيا.

على رأس مؤلفي هذا الكتاب الجماعي نجد الباحثة الألمانية من أصل مصري، إيمان عطية، المتخصصة في حقل دراسات العنصرية ولها إسهامات مهمة فيه إلى جانب كل من الباحث أوزان كسكينكيليك والباحثة بشرى أوكو. ويتألف هذا الكتاب الراهن في مضمّاره من مقدمة موجزة وخمسة فصول إلى جانب خاتمة وافية عن نتائجها النظرية والتطبيقية.

في مقدمة هذا الكتاب ينطلق مؤلفوه من فرضية مفادها أن للعنصرية ضد المسلمين عواقب قد تجاوزت التصور الغربي النمطي عن المسلمين من كونهم «غرباء» و«مشتبّه» فيهم إلى ما صار يُشكّل ازدراءً مباشراً بل ومُمنهجاً للإسلام والمسلمين حتى على المستوى المؤسساتي، وهو ما يسعى مؤلفو الكتاب إلى التحقق منه عبر دراسة «الخطاب الأمني» الألماني حول المسلمين السائد حالياً بوصفه عنصرية مؤسساتية لم تُنجز حول أشكالها ونتائجها كتابات علمية رصينة بالشكل المأمول. في هذا السياق يُعرّف هذا الكتاب «الخطاب الأمني» من كونه ممارسة هيّمنية مُمنهجة،



عنصرية متوقعة، في حين أن البعض منهم يناون بأنفسهم فكرياً من خلال التعامل مع قضايا أخرى، وجسدياً بتغيير وظائفهم أو أماكن إقامتهم، وشعورياً عن طريق كبت تجاربهم أو محاولة ترويض المشاعر الغامرة التي تثيرها تلك التجارب. غير أن هذا الفصل يخلص أيضاً إلى أن الأقلية المسلمة - مثل بقية الأقليات - ليست دائماً مجرد موضوعات «جامدة» لسلطة فوقية قاهرة وحاضرة في كل مكان، حيث عبر بعض المشاركين عن الطبيعة المتنوعة والغنية لاستجاباتهم أثناء مخاطبتهم كمسلمين، فغالبا ما يُنوعون خصائص هويتهم «المسلمة» حينما يضيفون إليها هويات فرعية من مجالات النوع والطبقة والتعليم والهجرة والثقافة والعرق واللغة، ولون البشرة والدين والكفاءة والعمر.

تنقسم خاتمة الكتاب إلى شقين رئيسيين؛ يضم الشق الأول خلاصات مُركزة للنتائج المتوصل إليها في هذه الدراسة، لعل من أهمها أن تاريخ الإرهاب الحديث ليس هو تاريخ الجماعات الإسلامية كما يُصورها الخطاب الأمني لاسيما وأن الأشكال الأخرى من عنف الدولة وغيرها تنطوي بدورها على مخاطر أكبر من الناحية الإحصائية على الأمن الداخلي والخارجي. وفي الوقت ذاته، فإن العنف العنصري واليميني المتطرف الموجه ضد المسلمين لا يزال يتم النظر إليه على أنه فردي وهامشي بل ويتم التقليل من شأن النقد الموجه بصفة عامة نحو العنصرية التي تستهدف المسلمين بل ويتم اللجوء عبر الإعلام إلى تشويه مصداقية هذا النقد. في حين أن الشق الثاني يقدم توصيات وتصورات نحو حكاما أكثر مواطنية في ألمانيا لا تقيم فروقات بين المواطنين ولا ترمي الأقليات العرقية والدينية بعدم الولاء بل تسعى إلى استثمار التنوع العرقي والثقافي لديها.

• الكتاب: أن تكون مسلما في الخطاب

الأمني الألماني

• المؤلفون: إيمان عطية، أوزان

كسكينكيليك، بشرى أوكو

• دار النشر: ترانسكربت

• سنة النشر: 2021

• عدد صفحات الكتاب: 196

• لغة النشر: اللغة الألمانية

* كاتب وباحث مغربي مقيم في ألمانيا



التي تبدو «إسلامية» وبالتالي «إشكالية» في الخطاب الأمني المهيمن، بل ويتم حتّمهم على اتخاذ مواقف من أفعال «المسلمين» الآخرين، والنأي بأنفسهم عن أولئك المسلمين «الأشرار» وإثبات أنفسهم باستمرار كمواطنين مندمجين ومستنيرين. وبلغة أخرى عليهم أن يقدموا أنفسهم على أنهم «استثناءات جيدة» في الخطاب الأمني الذي يدعي «تثقيفهم» ليكونوا مواطنين ألمان أفضل عبر تنظيم فوقي لممارستهم الدينية وفقاً للنمط المسيحي للبلد وأيضا عبر التفريق المستمر بين المسلم «الجيد» و«الشرير» وتعزيزه.

أما الفصل الخامس والأخير فقد اهتم بعرض وتحليل «أليات الدفاع» المشاركين واستراتيجياتهم (حتى الاستباقية منها) التي تحدثوا عنها في مواجهة تداعيات الخطاب الأمني حولهم وتمظهراته اليومية في ألمانيا. إن تجربة التشكيك الجمعي بل واليومي حيا لهم على أنهم «تهديد» بسبب دينهم وانتمائهم الثقافي لها تأثير عميق على مشاعرهم وصورتهم الذاتية، بل وحتى في تفاصيل حياتهم اليومية (مثل الأماكن التي يُظهرون فيها وجودهم أو تلك التي يتجنبونها، وممارستهم لتدينهم وكيفية لباسهم واستعمالهم للغاتهم الأصلية في المجال العمومي. بعبارة أخرى إنهم يعانون من العنصرية كتحدٍ فكري وجسدي وشعوري ويحاولون مواجهتها على هذه المستويات. لهذا يستخدم المشاركون - بوعي أو بدونه - استراتيجيات مختلفة لتجنب التجارب الجارحة لهم بشكل وقائي أو حتى للتعافي منها. في هذا السياق صرّح البعض أنه يستبِق منع حدوث تجارب

الوسطى بشكل لافت للنظر.

على هذا الأساس يُشدّد هذا الفصل على أن الخطاب الأمني ليس أمراً جديداً وأن الافتراض القائل بأن هذا الخطاب المهيمن ما هو إلا ردة فعل غربية على العنف المنبثق من المسلمين هو افتراض قاصر، لذا يؤكد مؤلفو الكتاب أن التنظير الذي يقدمونه في الفصل الأول والثاني للعنصرية يتجاوز التفسير التقليدي للعنصرية من كونها عداءً أو مجرد خوف، كما تحيل على ذلك مصطلحات «الإسلاموفوبيا» أو «العداء للإسلام»، لذلك فهم يعتبرون مصطلح العنصرية ضد المسلمين ذا مغزى، ذلك أنه يأخذ في الاعتبار التواريخ القديمة والحديثة لبناء الأمة والاستعمار ويعيد نسج الإشارات العنصرية الراهنة إلى الدين والثقافة والأصل والعرق بحسب تعبير المؤلفين.

وقبل عرض نتائج الشق التطبيقي للكتاب والقائمة على دراسة ميدانية، حُصص الفصل الثالث من الكتاب للتطرق إلى المنهجيات المُستعملة في الدراسة مع عرض لإمكانياتها وحدودها أيضا. وعن مسوغات الدراسة التطبيقية يقول مؤلفو الكتاب أنه كان من الضروري أخذ الواقع الاجتماعي اليومي للمسلمين كنقطة انطلاق للدراسة الميدانية بدلاً من الاكتفاء بالتطرق إلى «المعرفة» المهيمنة حولهم، والتي تمّ سلفاً عرضها ونقدها في الفصلين الأول والثاني، ويضيف الباحثون الثلاثة أنه على مدار ثلاث سنوات انصب الاهتمام البحثي على نظرة وتعامل المسلمين أنفسهم (أفراد وجاليات وممثلي المنظمات المدنية المسلمة) مع الخطاب الأمني الهيميني في ألمانيا؛ حيث طرحت عليهم أسئلة مفتوحة من مثل: كيف يستجيبون لمخاطبتهم باعتبارهم «تهديداً» أمنياً؟ وكيف يُموقعون أنفسهم حيال النقاشات والحوارات المجتمعية حول الأمن من أجل جعل اهتماماتهم واحتياجاتهم وخبراتهم مع العنصرية والتمييز مسموعة؟

وهذا تحديداً ما يُحاول الفصل الرابع الإجابة عنه عبر عرض مُفصّل لنتائج المقابلات الفردية مع المشاركين والمحاورات الجماعية فيما بينهم حول الخطاب الأمني وتمظهراته اليومية، وقد عبّر المشاركون في الدراسة عن شعورهم بالتمييز المرتبط بالخطاب السائد حولهم بوصفهم تهديداً أمنياً؛ فبحسب شهاداتهم فهم يواجهون العداء اليومي في الشارع، ويُعانون من التمييز المؤسسي في المؤسسات التعليمية، وفي سوق العمل والسكن وفي النظام الصحي، ويجب عليهم - سواء كانوا يريدون ذلك أم لا - التعامل مع تلك القضايا



التفكير بشجاعة: التنوير بوصفه عملية مفتوحة ماري- لويزا فريك

رضوان ضاوي *

يحمل هذا النص عنوان «التفكير بشجاعة: التنوير بوصفه عملية مفتوحة»، ويعرض الكتاب محطات مهمة ومتنوعة للفكر التنويري المليء بالتناقضات، وتشرح الفيلسوفة «ماري - لويزا فريك» في هذا الكتاب الموزع على خمسة فصول طبيعة التنوير، من خلال تفكيك أهم الأطروحات التنويرية حسب كل فصل: مفهوم التنوير والإشكاليات الجديدة التي تطرحها أفكار التنوير، وقضايا التفكير المستقل، ثم مفهوم السيادة والحقوق، إضافة إلى مفهوم التعايش، وأخيراً مفهوم الإنسانية ومستقبل الحركة الإنسانية.

يومنا هذا، تعتبر الثقة في الاعتراف المنطقي واتخاذ القرار والعمل جزءاً أساسياً من المجتمعات الديمقراطية التي تستمد قيمها الرئيسية في هذا التراث.

وتنتقل المؤلفة إلى وصف انطباعاتها عن أسباب التنافر الحاصل بين الآراء والأفكار في فلسفة التنوير، ومعالجتها وإيجاد أفضل وسيلة لتحقيق أهداف التنوير، والتعامل الفكري مع الاعتبارات الأخلاقية، فتدعو إلى أن يفهم الفرد العالم بشكل أفضل، وأن يعمل على جعله أفضل. وترى ماري لويزا فريك أن الدعوة إلى التفكير في الذات هي الإرث الأساسي لعصر التنوير.

وتنتقل المؤلفة في هذا النص إلى مسألة التضليل الإعلامي وانحيازه إزاء قضايا فكرية وعلمية دقيقة، فتحت الباحثة المسؤولين الإعلاميين على تجنب الانحياز في تقاريرهم، كما هي الطريقة التي تتعامل بها العديد من وسائل الإعلام الدولية مع المنكرين للتغير المناخي من صنع الإنسان، وحول التفكير الذاتي، مدعية الدفاع عن حرية الكلمة ضد التيار الاستبدادي السائد في ثوب التنوير وتحت ستار معاداة الفاشية. بالنسبة

تدعو فريك بشكل أساسي إلى إعادة تنظيم المعرفة العلمية بين العلم والسياسة والمواطنين المتزمنين، فيصبح واضحاً لكل فرد مدى محدودية الخبرة في المجالات التي لا تؤثر على كفاءتهم المباشرة ومدى محدودية الأشخاص العاديين في جميع المجالات تقريباً. ويمكن اعتبار هذه الرؤية دعوة إلى التفكير المستقل وإلى التواضع المعرفي، فبدون الموقف المتواضع يتحول التفكير الذاتي إلى غطرسة. وفي سياق التنوير الألماني، يعد هذا الكتاب الصغير الحجم من المقاربات الفلسفية المعاصرة لأفكار التنوير في ألمانيا، فقد أبانت فيه المؤلفة تمثلها الواعي للأسئلة الجديدة التي يمكن طرحها انطلاقاً من التأملات الفكرية التنويرية الألمانية. وتؤكد فريك أن مفكري عصر التنوير، مثل إيمانويل

كانط، قد طرحوا بالفعل أسئلة نقدية حول المتطلبات الأساسية والعواقب السلبية المحتملة للتفكير الذاتي، كما كانت هناك أيضاً تحفظات على حق تقرير المصير الجماعي في السياسة. ومن المفيد العودة إلى هذه الأسئلة، وإلى هذه النصوص، حتى في أوقات أزمتنا. فالباحثة الألمانية فريك تجمع تجمع في رؤيتها الفلسفية في هذا الكتاب بين ثقافة المناظرة واللياقة الفكرية،

والتجربة مصدراً للتفكير والمعرفة، والإنسان يكتسب وعيه من خلال التدايمات والتجارب. ونفى التنويري الإنجليزي دافيد هيوم قدرة العقل على تحفيزنا للتصرفات الأخلاقية، مؤكداً على الدور الحاسم للعاطفة، لكن كريستيان فولف يقول إن كل ما يمكن الوصول إليه عن طريق المنطق، هو أيضاً معقول وطبيعي وأخلاقي، وأن سعادة الإنسان هي هدف كل تصرف يقوم به؛ بالتالي يكون العقل والعاطفة مرتبطين بالتنوير. وبينما يرى كانط أن التنوير هو تغلب الإنسان على قصوره الذي اقتصره في حق نفسه، يؤكد الفيلسوف الألماني لايبنتس على أن أساس فلسفة التنوير هو العمل على تحقيق أفضل عالم ممكن، من خلال ارتباط الحاضر بالمستقبل. وقد ساد عصر التنوير اقتناع محدد مفاده أن سعادة الإنسان يمكن الوصول إليها عن طريق التصرف العاقل، إلا أن التنوير لم يسع مطلقاً إلى استبدال الدين بالعقل، فالضمانات الدينية جزء من التنوير تماماً مثل الأفكار العلمانية.

وتناقش المؤلفة ارتباط التنوير الوثيق بحقبة زمنية من تاريخ الحضارة الغربية، (تسمت بتغييرات في مفاهيم الذات والعالم لدى مجموعة من البشر الغربيين)، وتحولات اجتماعية في إطار عملية تقدم حاسم يبتعد عن الظلام ويقترّب من النور. وقد اعتمدت فلسفة التنوير في القرنين السابع عشر والثامن عشر (الطويل) على مهارات عديدة في مفهومها للعضو المسؤول في المجتمع، منها: التفكير المستقل، والحكم النقدي، والتصرف بمسؤولية. واعتبرت أستاذة الفلسفة فريك أن مثل هذا التمثل للفرد ذي السيادة هي الرد المناسب على الاضطرابات الأساسية في فهم الذات والعالم، وهي اضطرابات ظهرت بوادرها مبكراً؛ فقد أصبحت العديد من الأنظمة الصحيحة للسياسة، والعلاقة بين الجنسين، والعلاقات الاجتماعية هشة للغاية. وهو ما يفسر إلى حد كبير هذا الهوس بالإصلاح ومحاوله وضع كل شيء موضع تساؤل.

ومن بين الأسئلة الفلسفية التي يُعيد هذا الكتاب معالجتها، سؤال: على ماذا نبني أمننا المعرفي والأخلاقي؟ وقد صار هذا السؤال فكرة مهيمنة على عصر التنوير، فبعد تجاوز الضمانة الإلهية، اعتمد كثير من المفكرين على العقل البشري، وحتى

كما تؤكد الفيلسوفة الألمانية على أهمية فهم التنوير بوصفه وظيفة إنسانية مناسبة للعصر الحالي، ويجب التذكير دائماً بأهدافه، ويمدّ حاجة عصرنا إلى تأملات الفكر «التنويري» الذي يخاطب التحديات الجديدة المعاصرة. وقد جاء هذا الكتاب ثمره أفكار ويبحث في مصادر من عدد من المكتبات، ومن خلال جولات ولقاءات المؤلفة مع الناس، وهي تحمل هاجس السؤال المهم: هل هناك فرصة للعودة يوماً ما إلى عصر ما قبل انهيار الحياة الطبيعية في كل أنحاء العالم؟ وهل سندرك يوماً ما حجم الكارثة الطبيعية والثقافية التي تعرضنا لها بحكم كوفيد-19؟

تؤكد المؤلفة على أن الانهماك في فكر عصر التنوير يمنح الناس دافعاً لإدراك أفضل لهذه المشكلات المتفاقمة من خلال إعادة المؤلفة فريك، الفيلسوفة والأستاذة في معهد الفلسفة بجامعة إنسبروك، الاعتبار للسؤال القديم-الجديد: ماذا يعني التنوير؟ وإذا ما كان تصاعد العنف الطائفي وفقدان الثقة في العلم ووسائل الإعلام، وكذلك تركية الانقسامات السياسية تُشير إلى قرب نهاية فكر وفلسفة التنوير. وتناقش فريك في هذا الكتاب مسألة كون التنوير ليس «إرثاً» تعارف عليه المثقفون، بل وربما ينجح هذا الكتاب في إقناع الذين يعتقدون أن التنوير بعيد عن أذهانهم، بأن عصر التنوير قريب جداً، فهو حقل شاسع يدعونا إلى حرثه كي نجد الراحة في ظلال أشجاره الضخمة. وهو تطوير مستمر للتفكير الشجاع والمستقل وإعادة اكتشاف الذات ضدًا في شعار اليوم الذي تسميه فريك: «مستقبل الإنسانية يكمن بين اليأس والغطرسة». ذلك أن الفرد عليه أن يمتلك الشجاعة كي يستخدم عقله ويدرك وهو يفكر في ذاته كفرد مسؤول حدود معرفته من أجل رؤية صحيحة للعالم.

والتنوير حركة فكرية انطلقت من غرب أوروبا في القرن الثامن عشر، وكان شعاره: «أي شيء فعله ويمليه علينا العقل هو بالتأكيد شيء طيب». كان هذا العصر هو الوقت الذي رفعت فيه فلسفة التنوير من شأن الوجود الدنيوي للبشر ولم تعد العلوم مرتبطة بالدين. وإذا كان ديكارت الفرنسي يجلب العقل من خلال مبدأ: أنا أفكر إذن أنا موجود، فإن تعاليم النزعة التجريبية مع جون لوك في إنجلترا اعترفت بإدراك الحواس



أزمة المناخ وكذلك في أزمة كورونا. حيث يكافح العلماء من أجل المعرفة، ويزداد الأمر إشكالية عندما تستمد القرارات السياسية مباشرة من البحث العلمي، لكن تظل مسألة تزايد موجة ثقافة الإلغاء مثيرة للخوف، حيث تتم مقاطعة الناس أو حتى فصلهم من العمل أو الدراسة بسبب آرائهم.

يعد الكتاب دعوة إلى تبني التفكير الفلسفي، ويتناول قضية كيفية جعل التنوير مناسباً لعصرنا. كما يلقي الضوء على التعدد في الأصوات والغموض الذي عرفه سرد عصر الأنوار الذي تعتقد المؤلفة أنه لم يكن مشروعاً متجانساً أو برنامجاً فلسفياً يخلو من التناقضات، بل إن الباحثين يجدون أنفسهم أمام تشابك معقد من التصورات والممارسات المتنوعة. فإذا كان عصر الأنوار يعتبر أزهى العصور الكونية، فإن الأفكار الغربية قد فرضت على البشر أجمع من خلاله، بل هناك تساؤلات عما إذا كان عصر التنوير مشروعاً استعماريًا يضع التفكير العقلاني الأوروبي في مقابل الكيان المتخلف للشعوب الموجودة خارج مدار الغرب. لكن المؤلفة تشدد على أن العلماء الأوروبيين أنفسهم قد انتقدوا تورط مجتمعاتهم في المساعي الاستعمارية وارتكاب آثام قومية من خلال الانسياق وراء من يسميهم التنويري دينيس ديبروه في نقده لشكل حياة الأوروبي بـ «مُسَمِّي الشعوب».

وتتسم رؤية المؤلفة في هذا الكتاب بالطابع الفكري المركب، وربما يساعد تنقيحها في التاريخ الفلسفي للأفكار في القرنين السابع عشر والثامن عشر، على فهم مشاكل الحاضر بشكل أفضل ويثير التفكير حول إرث التنوير والتحالف الخطير بين منكري كورونا والشعبوية. لهذا نرى الباحثة فريك تستعين بمفاهيم مثل العقل والنقد الذاتي والتأمل الذاتي والفرادانية. بالتالي يستحق هذا الكتاب القراءة، فهو يأخذنا في رحلة إلى قضايا التنوير، وإلى المناقشات الموضوعية للغاية، ويذكرنا بشعار التنوير: أي التحلي بالشجاعة واستخدام الذكاء الفردي.

وربما تكون ترجمة رصينة لهذا الكتاب إلى اللغة العربية مفيدة للقارئ العربي الذي يحتاج ولا شك لمصطلح التنوير في الوقت الحالي، وإلى استجابة النخب السياسية والثقافة إلى دعوة المؤلفة إلى «أن نفكر بشجاعة» في ظل انتشار الشعبوية وتصاعد الصراعات السياسية والدينية، وازدياد مخاطر وباء كورونا والتغير المناخي، والفيضانات والحرائق التي اشتعلت في دول عربية كثيرة آخرها الجزائر وتونس والمغرب.

• الكتاب: التفكير بشجاعة: التنوير

بوصفه عملية مفتوحة

• الكاتبة: ماري- لويزا فريك

• دار النشر: سلسلة ريكلام، 2020

• اللغة: الألمانية، 176 صفحة.

* باحث في الدراسات الثقافية

المقارنة، الرباط، المغرب.



أن تحقق بشكل ملموس، التفكير في كيفية الدخول في حوار مع جميع التوجهات. لكن الفكرة التي صرحت بها الفيلسوفة فريك بالقول إنه غالباً ما يكون من غير الواضح أي الخبراء يمكنه بالفعل تقديم إجابات ذات أسس جيدة على أية أسئلة، هي فكرة ليست جديدة وقد طرحها العديد من الفلاسفة خلال أزمة كورونا، لكن من الصواب والمهم تكرارها. وقد اهتمت الفيلسوفة بجائحة كورونا، فقدّم الباحث المغربي عز العرب بناني ملاحظات فلسفية حول جائحة كورونا في محاضرة مهمة منشورة في الأنترنت، كما صدر مؤخراً كتاب بعنوان «الصحة والفلسفة» لمجموعة من الباحثين العرب. أما في السياق الألماني فنذكر هنا بكتاب «كوفيد 19»... ما الذي يهّم في الأزمة؟ عن الفيلسوفة في الزمن الفعلي - نيكيل موكري وأدريانو مانينو (2020) الذي نشرنا له مراجعة في ملحق مراجعات.

يمكن مناقشة بعض الأفكار الواردة في هذا الكتاب، فلربما غاب عن المؤلفة أن صناعة الرأي تعتمد على وجهات نظر متعددة، ولا يمكن تعريض منكري كورونا أو ناشري الحقائق البديلة لثقافة الإلغاء التي تنتهدها المؤلفة في هذا الكتاب. إن تقصي الرأي وتنوع الآراء أمران مرغوب فيهما بالفعل، لكن نشر ما يسمى بالحقائق البديلة أو الإنكار المنهجي للمعرفة التي يمكن التحقق منها علمياً هو في الواقع مثير للجدل. ففي وقت الأزمات، وبالضبط في جائحة كورونا، هناك آراء مختلفة حول موضوع التطعيم، قد يصل إلى درجة تشويه الآراء حين يُطلق عليها نظرية المؤامرة أو الأخبار المزيفة، مما يطرح أسئلة بخصوص أخلاقيات حرية التعبير وماهية الرأي وثقافة الإلغاء في تاريخ الفلسفة. وقد انتبهت المؤلفة لهذه المسألة بالقول إن الفلاسفة يعلمون أن المفاهيم المختلفة للحقيقة تتعايش رغم انتشار موجات من المعلومات المضللة في العديد من المجالات ووجود مجموعات تفكر فقط في كيفية إشراك الناس في عوالم وهمية. على أن أهمية هذا الكتاب تكمن في التأكيد الصريح على الدور الرئيسي للعلم في الأزمات الكبرى في الوقت الحاضر: في

والجدال المتحضر، وتحدد الفيلسوفة الألمانية الخطوط العريضة للمبادئ التوجيهية الأساسية لحل النزاعات في ظل نظام ديمقراطي مفترض، بالتالي تعتبر النزاعات «سياسية في الأساس» ولا يجب أن تؤدي بأي حال من الأحوال إلى توافق في الآراء.

كتبت المؤلفة أنه في ظل أزمة كورونا، يجدر التعامل مع فلسفة التنوير كونها مرافقة للأسئلة والمشكلات الأساسية التي تنشأ من خلال التعامل مع الفلسفة تقليدياً والتي تؤثر في تخصصاتها المختلفة - ففي الأوقات التي تكون فيها العديد من الأشياء موضع تساؤل، تساعد الفلسفة في طرح الأسئلة الصحيحة وجلب تخصصات مختلفة في حوار مع بعضها البعض. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر أيضاً، أصبحت العديد من الأشياء موضع تساؤل، مثل الدين بوصفه الملاذ الأخير أو أنظمة الحكم المطلقة. بالنسبة لفلاسفة عصر التنوير، كان العقل هو الأداة المركزية التي تؤدي إلى مجتمع مثالي؛ وساعد على وضع أسس الديمقراطية وحقوق الإنسان. حتى ذلك الحين، قيل إن التفكير العقلاني يمكن أن يحفز الناس أيضاً على التصرف بشكل أخلاقي. لكن المؤلفة فريك تنتقد «المفكرين الجانبيين» ومنكري كورونا الذين يزعمون أيضاً أنهم يفكرون بشكل نقدي. فالتفكير في الذات من وجهة نظرها هو عمل شاق، والتفكير النقدي لا يعني مجرد تكرار شيء ما سمعه المرء في مكان ما أو ما قيل في فيديو يوتيوب، كما لا يعني ذلك البحث الدائم عن أخطاء الآخرين، ولكن أيضاً استجواب المرء لذاته. وهي عملية تسمح بالمجادلة والمناقشة مع هذا الفرد. وتلاحظ المؤلفة وجود الكثير من الأشخاص الذين يصرون الكثير من الضوضاء، لكنهم في الواقع لا يستطيعون فعل الكثير لحل المشكلات. وقد كان تجاهل النتائج العلمية واللجوء إلى «الحقائق البديلة» استراتيجية مضللة للجماعات في الوسط الأيديولوجي اليميني قبل فترة طويلة من تضيي جائحة كوفيد-19. وتعتقد فريك أن أزمة كورونا تستوجب الكثير من التمحيص والدراسة، ويحتاج الباحثون إلى معلومات كبيرة بشكل لا يصدق في الوقت الحالي، رغم وجود العديد من عروض المعرفة والمعلومات الزائفة التي يتم نشرها غالباً بطريقة مستهدفة لإغواء الناس مع وجود العديد من الأشخاص الذين لم يتعلموا أبداً التمييز بين ما تم إنشاؤه علمياً وما هو غير ذلك، وهي من وجهة نظر فريك، مشكلة تعليمية - وبالطبع قاتلة في أوقات الأزمات. تقع المسؤولية أيضاً على عاتق الإعلام الذي يجب أن يميز بدقة كل هذه المعلومات. والكاتبة تدرك الصعوبة المتمثلة في أن صانعي وسائل الإعلام غالباً لا يعرفون كيف يفصلون بوضوح بين التخصصات ومن هو المختص في الإجابة عن الأسئلة. فلا يوجد عالم يشرح كل شيء، وحتى الخبراء الحقيقيون لا يزالون يخطئون. ولكن يجب أن يُقال بوضوح أن هناك أناساً عديدي الجدوى في العلم يتحدثون علناً بشأن أسئلة لا علاقة لهم بها.

وقد لا تكون أفكار هذا الكتاب جريئة فعلاً، فاستنتاج أن العلماء وحدهم يستطيعون تقديم حلول في أزمة كورونا، يعني أن غالبية التصريحات التي يدلي بها منكري كورونا غير علمية، هو أمر نقدي قد لا يدخل ضمن اختصاص الفلسفة التي عليها



كيف يتجنب العالم كارثة التغير المناخي؟ بيل جيتس

عارف عادل مرشد *

إن الآثار العالمية لتغير المناخ واسعة النطاق، ولم يسبق لها مثيل من حيث الحجم، من تغير أنماط الطقس التي تهدد الإنتاج الغذائي، إلى ارتفاع منسوب مياه البحار التي تزيد من خطر الفيضانات الكارثية. وإذا لم يتم القيام باتخاذ إجراءات جذرية من الآن، فإن التكلفة مع هذه التأثيرات سيكون أكثر صعوبة، ومكلفاً في المستقبل. حتى إن ضبط «ساعة يوم القيامة» (Dooms day clock) لهذا العام على ١٠٠ ثانية قبل وصول عقارب الساعة إلى وقت منتصف الليل، جاء مبنياً على ثلاثة مخاطر تواجهها البشرية هي: الاحتباس الحراري، والحرب النووية، والتضليل أو انهيار أي نوع من الخطاب العقلاني. وتُنذر «ساعة يوم القيامة» مجازاً بقرب نهاية العالم بحسب تهديدات معينة أبرزها الحرب النووية. وهي ساعة رمزية تم إحداها عام ١٩٤٧ من قبل مجلس إدارة مجلة علماء الذرة التابعة لجامعة شيكاغو، تُنذر بقرب نهاية العالم حيث إن وصول عقارب الساعة إلى وقت منتصف الليل يعني فناء البشرية.

أما الرقم (صفر) فيمثل حالة انعدام تلك الانبعاثات، أي التخلص منها تماماً، وهي حالة يجب أن نصل إليها بحلول العام ٢٠٥٠. فنحن بحاجة للوصول إلى نسبة صفر من الانبعاثات المسببة للاحتباس الحراري، الذي يؤدي بدوره إلى ارتفاع درجة حرارة الأرض.

وقد شرح جيتس كيفية القضاء على تلك الأطنان من الانبعاثات، والتي تتشكل وفقاً لخمس مصادرات، حيث إن استخدام مصادر الطاقة المتجددة (Renewable Energy)، مثل الرياح، والمياه، والشمس، وتقليل استخدام الوقود الأحفوري (Fossil Fuel) مثل الفحم، والغاز الطبيعي، والنفط، من شأنه أن يمثل نحو ٢٧٪ من الانخفاضات المطلوبة، علاوة على تغيير طرق تصنيع السلع، والتي قد تحقق انخفاضاً مقداره ٣١٪، كما يمكن أن يساهم تغيير طرق زراعة المحاصيل الغذائية، وتقليل السفر، والحفاظ على المباني دافئة أو باردة، في خفض الانبعاثات بنحو ١٨٪ و ١٦٪ و ٦٪ على التوالي.

الثيمة الثانية، ما الذي علينا فعله حتى نتجنب وقوع الكارثة المُنتظرة؟

يضع جيتس أمام الحكومات والمعنيين خطة عملية للخروج الآمن، بالتركيز على وضع الحلول والآليات التي يمكن من خلالها تحقيق الهدف الأكبر، المتمثل في إزالة انبعاثات غازات الاحتباس الحراري بحلول عام ٢٠٥٠، ويمكن إيجاز هذه الحلول التي وضعها الكاتب في النقاط الآتية:

الابتكار في الطاقة النظيفة (Clean Energy) :

يعتقد جيتس أن هناك احتياجاً إلى الاستثمار بشكل جدي في الطاقة النظيفة، التي ترتبط بصورة كبيرة في الابتكار في هذا القطاع الحيوي، فلا بد من وجود كفاءات لديها القدرة على إقناع الحكومات بأهمية الاستثمار في هذا المجال. فنحن لدينا مصادر مناسبة، مثل: طاقة المياه، وطاقة الشمس، وطاقة الرياح، لتوليد الطاقة النظيفة وتخزينها

سلسلة عالم المعرفة (الكويت) العدد ٢٣١ لعام ١٩٩٨- وكتاب ((Business @ The Speed Of Thought (١٩٩٩)، وقد جاء محتويًا على اثني عشر فصلاً بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة، ويقوم في مجمله على ثلاث ثيمات (Themes) هي:

الثيمة الأولى، الاحتباس الحراري من الرقم (٥١) إلى الرقم (صفر): يعرض الكتاب رقمين مختلفين؛ الرقم الأول (٥١)، والرقم الثاني (صفر)، يمثل الرقم (٥١) (الحالة التي نعاني منها حالياً والتي تتمثل في أطنان الغازات الدفيئة (Green house gases) المسببة للاحتباس الحراري مثل، بخار الماء «H2O»، وثاني أكسيد الكربون «CO2»، والميثان «CH4» التي تُضاف للغلاف الجوي سنوياً، والمنبعثة بسبب الأنشطة التي نقوم بها.

فالغلاف الجوي كما يرى جيتس، أشبه بحوض سباحة تملأه المياه، ونحن بحاجة مُلحة إلى إيقاف تدفق المياه- التي هي الغازات المنبعثة- قبل أن يفيض الحوض. ولا يقتصر الأمر على هذا الإجراء فحسب، فنحن أيضاً بحاجة إلى البدء بسرعة في تفريغ الحوض والتخلص من كل الماء الفائض.

هذه الغازات تؤدي الدور نفسه الذي تؤديه البيوت الزجاجية الزراعية، والتي تُعرف في بعض الدول العربية باسم الصوبة أو الدفيئة- ومن هنا جاءت هذه التسمية- والتي تعمل فيها الجدران الزجاجية على تقليل التدفق الهوائي، وزيادة درجة حرارة الهواء الذي ينحبس داخلها، بغرض زراعته أنواع من النباتات التي تحتاج إلى مثل هذا المناخ. وعلى الرغم من أن الغازات الدفيئة لا تشكل سوى نسبة صغيرة من الغازات التي يتكون منها الغلاف الجوي للأرض، إلا أن لها تأثير كبير على التغيرات المناخية التي نشعر بها حالياً.

فموضوع التغير المناخي يشغل حالياً مختلف الأوساط العلمية والإعلامية والدولية، والمقصود بالتغير المناخي بشكل عام، ارتفاع حرارة الهواء المحيط بكوكب الأرض، أو ما يُعرف بظاهرة الاحتباس الحراري (Global Warming) وهي عبارة عن ظاهرة ملازمة لكوكب الأرض منذ أن وجد هذا الكوكب مع غلافه الغازي في علاقته مع الشمس، ولولاها لانتفت الحياة عليه.

إلا أنه نتيجة أنشطة الإنسان المتنامية بفعل الثورة الصناعية، تم إنتاج كميات كثيرة من الغازات تعمل على امتصاص الحرارة وتخزينها في الغلاف الجوي، مما يزيد من الاحتباس الحراري وارتفاع حرارة الهواء. فالأمر يُشبه أن تترك سيارتك تحت أشعة الشمس الحارة لمدة طويلة، مما يؤدي إلى نفاذ أشعة الشمس إلى داخلها عن طريق زجاجها الأمامي، ليبقى جزء من حرارتها مُحتبساً فيها، وما أن تعود إلى سيارتك حتى تشعر بأن حرارتها أعلى بكثير مما تصورت.

في هذا السياق، أصدر رجل الأعمال الأمريكي بيل جيتس (١٩٥٥) مؤسس شركة مايكروسوفت، ومستشارها التكنولوجي، كتاباً جديداً في منتصف فبراير الماضي بعنوان «كيف نتجنب كارثة مناخية: الحلول المتوافرة لدينا والابتكارات التي نحتاجها»، وقد سلط من خلاله الضوء، على التأثيرات المحتملة للتغيرات المناخية، مع وضع عدد من الرؤى والحلول للتعاطي مع هذه الظاهرة.

ويأتي صدور الكتاب قبل انعقاد الدورة السادسة والعشرين لمؤتمر الأمم المتحدة لتغير المناخ (COP26) في نوفمبر ٢٠٢١ في مدينة غلاسكو (إسكتلندا)، والذي يستهدف حشد الجهود الدولية للتعامل مع مسألة التغيرات المناخية.

ويُعد هذا الكتاب الإصدار الثالث لجيتس بعد كتابيه (The Road Ahead) (١٩٩٥) -صدرت الترجمة العربية له تحت عنوان «المعلوماتية بعد الإنترنت: طريق المستقبل» من



العمل بجد وبأسرع وقت: خلال ما يقارب العام من ظهور المرض في كانون أول ٢٠١٩ في الصين، ومن ثم انتشاره في بقية أنحاء العالم، أصبح بين أيدينا لقاحات تقاوم الإصابة ب(كوفيد-١٩). لكن بالنسبة لأزمة التغير المناخي، فلن تحل المشكلة في عام أو بضعة أعوام، فمن الممكن أن يأخذ هذا الأمر عقوداً، إلى أن ما علينا القيام به هو دعم العلماء وما لديهم من حلول مبتكرة تساعد على التخلص من الانبعاثات الكربونية؛ فالعلماء كانوا قد أكدوا أن (كوفيد-١٩) يُعدّ أمراً حتمياً لا يمكن تجنبه، لكن لا أحد منا كان قد أولى الأمر أهمية، ولذا فنحن دفعنا وما زلنا ندفع ثمناً باهظاً نتيجة هذا التهاون، وبما أن التغير المناخي أمر محتوم بلا شك، فما زالت لدينا فرصة مُتاحة للقيام بعمل حقيقي يمكننا تحويله إلى واقع قبل فوات الأوان. فجيتس متفائل بأننا سنحقق تقدماً حقيقياً بشأن تغير المناخ؛ لأن العالم ملتزم بحل هذه المشكلة أكثر من أي وقت مضى.

على سبيل الخاتمة :

على الرغم من أهمية طرح الكتاب في هذا التوقيت، بتزامنه مع عودة الولايات المتحدة الأمريكية لاتفاقية باريس للمناخ، وقبل انعقاد الدورة السادسة والعشرين لمؤتمر الأمم المتحدة لتغير المناخ (COP26)، في نوفمبر ٢٠٢١ في غلاسكو، إلا أن الكتاب يفتقر إلى إعطاء تصورات قابلة للتطبيق؛ لجعل دول العالم تأخذ قرارات حقيقية في هذا المجال بدل البقاء في عالم التنظير اللامتناهي. كما أن جيتس كان قد أهمل في كتابه مناقشة البعد السياسي لظاهرة تغير المناخ، فكتابه يخلو من مسألة مهمة للغاية وهو، الدور الذي أدّاه قطاع الوقود الأحفوري، وما زال يؤديه، في منع التحرك والتعبئة المناخية، وذلك قد يعود إلى الاستثمارات التي يقوم بها جيتس في شركات الوقود الأحفوري، بالرغم من إشارته في الكتاب إلى سحب استثماراته من تلك الشركات في نهاية عام ٢٠١٩.

• الكتاب: كيف نتجنب كارثة مناخية:

الحلول المتوافرة لدينا والابتكارات

التي نحتاجها.

• المؤلف : بيل جيتس.

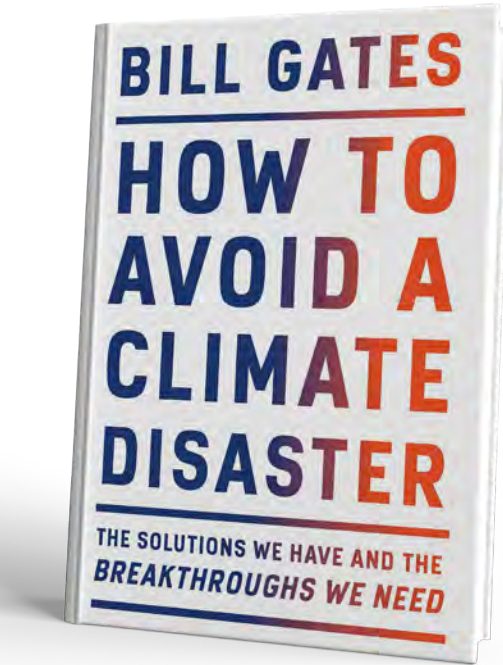
• لغة الكتاب : الإنجليزية.

• الناشر: الفريد نوف/نيويورك.

• تاريخ النشر: فبراير 2021.

• عدد الصفحات : 288 صفحة.

* أكاديمي أردني



المناخ على أفضل وجه ٩ :

يعتقد جيتس أن أزمة التغير المناخي أخطر بكثير من جائحة (كوفيد-١٩)، وذلك يعود إلى أننا قد اعتدنا ألا نحاول حل مشاكل توقعناها مبكراً، لأننا نفترض أنها من الممكن أن تختفي بعد حين، أو أنه بإمكاننا أن نجد لها حلاً بعد حدوثها. فنحن لا نتعامل معها كواقف إلا بعد حدوثها فعلياً. فإذا ما أردنا أن ننظر بشكل إيجابي لجائحة (كوفيد-١٩)، سندرك أن التحفيز والعمل لتجنب كارثة محتملة، هو خيار أفضل من الانتظار حتى وقوعها.

ومن أهم الدروس التي يمكننا تعلمها من جائحة «كوفيد-١٩» كما يعتقد جيتس في ما يتعلق بالتغير المناخي، هي: **المسؤولية الكبيرة للمقاة على عاتق العلماء :**

فأهم درس تعلمناه من (كوفيد-١٩) هو عدم تجاهل القدرات الإبداعية للعلماء، وذلك عن طريق تشجيعهم ودعمهم بكل ما يحتاجونه، لإنجاح تجاربهم وأبحاثهم. فمن الأفضل أن نزودهم بكل ما يحتاجونه لإيجاد الحلول الناجعة قبل حدوث الكارثة.

إيجاد الحلول العملية بواسطة الدول الغنية :

من المتوقع أن تكون تبعات «كوفيد-١٩» على الدول الفقيرة هي الأسوأ، فهذا ما سيحدث بالنسبة لكارثته التغير المناخي المتوقعة، ومن ثم فعلينا العمل لتجنب حدوث مأساة أخرى. فتبعات التغير المناخي ستكون أخطر بكثير من «كوفيد-١٩»، كما أن نسبة الوفيات ستكون أكبر. وليس من العدل أن يعاني أكثر الناس فقراً من هذه الكارثة، في الوقت الذي يكونون فيه هم الأبعد عن مسبباتها. فمن المنصف أن تأخذ البلدان المسببة للكارثة على عاتقها مسؤولية إيجاد الحلول الجذرية، ليس فقط من أجل سلامتها، بل من أجل سلامة البشرية جمعاء.

مثل: الكهرباء، أو الطاقة النووية. وحتى يتحقق هذا، على الحكومات تشجيع الباحثين على العمل أكثر، وتبني أبحاثهم الحالية، فتدفع لهم أضعاف الأجور الحالية. مع تركيز جيتس على أهمية الاستثمار في الذكاء الاصطناعي، لكونه عاملاً يساهم في القضاء على الانبعاثات، بالإضافة إلى العمل على توفير الإمكانيات المختلفة للجامعات؛ من أجل المساهمة في تطوير تكنولوجيات تعمل على تقليل انبعاثات الغازات الدفيئة.

التنسيق بين الأطراف المتعددة :

ويتمثل ذلك في التنسيق بين المستويين: الحكومي والخاص، وعلى المستوى الفردي. فعلى المستوى الحكومي يجب أن تتخذ الدول عدداً من السياسات تتمثل في تسعير الكربون، ودعم أسعار مصادر الطاقة النظيفة، فضلاً عن الإعفاءات الضريبية للسيارات التي تعمل على الكهرباء، والعمل على خفض أو التخلص مما أسماه «العلوات البيئية» أو «العلوات الخضراء» Green premiums وهي فرق التكلفة بين المنتجات والخدمات التي لا تصدر غازات دفيئة، مقارنة بمثيلاتها من المنتجات والخدمات قليلة التكلفة، التي ارتبطنا بها، والتي ينبعث منها غاز ثاني أكسيد الكربون.

أما على صعيد القطاع الخاص، فيمكن تحقيق قدر من التنسيق بين الجهود المشتركة للشركات المختلفة؛ لدعم مشاريع الطاقة النظيفة، وإطلاق مبادرات للتعبئة بذلك. أما على المستوى الفردي، فيأتي ذلك عبر انتهاج سياسات فردية، تعمل على التعجيل بالتحوّل إلى صفرية الانبعاثات، مثل: التوجه لشراء منتجات منخفضة أو عديمة الكربون، مثل: السيارات الكهربائية؛ مما يؤدي إلى المزيد من المنافسة بين الشركات المصنعة للسيارات في هذا المجال، ويحولها في النهاية إلى مصادر صديقة للبيئة.

التعاون الوثيق بين الحكومات :

بما أن التغير المناخي قضية كونية، فهو إذاً من القضايا العابرة للحدود التي تحتاج لتكاتف المجتمع الدولي للتغلب عليها والحيلولة دون تفاقم تأثيراتها، فلا بد من العمل الموحد بين الحكومات على المستويات كافة. «فدرجات الحرارة - وفق جيتس- لن تنخفض في تكساس مثلاً، إلا إذا توقفت الانبعاثات الكربونية في الهند، والعكس صحيح»، وهذا ينطبق على كل بلدان العالم، وهو ما علينا وضعه نصب أعيننا، ونحن نتناول الحلول المحتملة. فعلى الحكومات أن توحد جهودها لتحقيق الهدف المنشود؛ عن طريق تبادل المعارف، والتأكد من أن كل حلول الطاقة النظيفة ستستخدم في كل بلاد العالم بأسعار رخيصة الثمن، خاصة أفقر البلدان.

الثيمة الثالثة والأخيرة هي، كيف يمكننا توظيف الدروس التي تعلمناها من أزمة جائحة (كوفيد-١٩) في العمل



علم اقتصاد جيد للأوقات العصيبة إستير دوفلو وأبهيجيت بانيرجي

محمد حركات *

كثيرة هي كتب الاقتصاد السياسي التي تناولت خلال العقدين الأخيرين مجموعة من الطروحات المختلفة حول النمو والتفاوت الاقتصادي والاجتماعي غير أن كتاب المؤلفين ستير دوفلو وأبهيجيت بانيرجي وإن كان يلتقي مع عدة طروحات في الموضوع فإنه يختلف منهجياً وفكرياً وبجراًة كبرى في إثارة مجموعة من القضايا الراهنة الشائكة؛ حيث إنه يصدر في سياق مختلف يتميز بالأزمة الهيكلية للنظام الليبرالي والتي استفحلت بفعل التدايعات العميقة لجائحة كوفيد-19 التي أصابت منظومة الإنتاج العالمية بزيادة الفقر وتمركز الثروات في أيادي الأقلية وتزايد الخطب الشعبوية وتضارب المصالح وهيمنة منظومة التهاة وأباطرة التكنولوجيا.

لقد تعلم الاقتصاديون أفضل ما يمكنهم فعله، وهو إيمانهم بقضيتهم عبر تشكيكهم في الإجابات اللامعة والاستعداد لتجربة الأفكار والحلول الواقعية والممكنة وأن يكون هدفهم الأمثل هو المساهمة في بناء عالم أكثر إنسانية وإلا فكيف ينبغي جعل الاقتصاد السياسي رائعاً مرة أخرى، ومنسوب الثقة في الاقتصاديين ضعيف عند الرأي العام ؟

في هذا السياق، يخلص المؤلفان إلى أن السياسات الاقتصادية وإن اختلفت تنبني دائماً على علم الاقتصاد، سواء منه الجيد أو السيئ / الرديء فالأول يمضي منتصراً على الجهل والأيدولوجيا. أما الثاني فمن خصائصه التحيز في التحليل في تبرير الإعانات والهبات الكبيرة المقدمة إلى الأثرياء والضغط على برامج الرعاية الاجتماعية، والدفاع عن فكرة أن الدولة عاجزة وفاسدة والفقراء كسالى، وهو ما مهد الطريق للمأزق الحالي المتمثل في انفجار عدم المساواة وتوليد الغضب.

الواقع، من المهم، يؤكد الكاتبان، أن يسترشد الاقتصادي في مشاريعه العلمية بطرح الأسئلة الكبرى الهادفة ضمن مقاربة متعددة التخصصات لما يريده البشر وما يشكل الحياة الجيدة. إن التركيز على الدخل (الناتج الإجمالي الداخلي) وحده غالباً ما يقود أذى الاقتصاديين وصانعي السياسات إلى المسار الخطأ . ويشدد الكاتبان على أن يتجه النقاش العام في خضم الأزمة والأوقات الصعبة إلى الاعتراف بالرغبة الإنسانية العميقة في الكرامة والتواصل الإنساني، والتعامل معها باعتبارها قضية إنسانية جوهرية وفق مقاربة علمية شاملة، تيسر فهم بعضنا البعض، وتحرير أنفسنا مما يبدو أنه تعارضات مستعصية على الحل. إن إعادة الكرامة الإنسانية إلى مكانتها المركزية الطبيعية، تؤدي بدون شك إلى ضرورة إعادة التفكير العميق والجدي في الأولويات الاقتصادية والطرق الكفيلة بتأمين وحماية مجتمعاتنا وكافة أفرادها من المخاطر المحدقة بهم وتجاوز سوء الفهم حول العديد من القضايا من التصورات حول الهجرة والتبادل الحر والبيئة والتكنولوجيا.

لكن لماذا هذا الذعر من المهاجرين ؟
يقر الكاتبان أن التحذير العنصري يظل مدفوعاً بالخوف من اختلاط الأجناس وأسطورة النقاء لا تصغي للحقائق. ومقابل

الجزئي في البلدان النامية، بما في ذلك السلوك الأسري والعمل والتعليم وولوج التمويل والصحة وتقييم السياسات العامة ونهجها الميداني في التخفيف من حدة الفقر. وفي عام 2012 صدر لهما كتاب مشترك تحت عنوان « إعادة التفكير في الفقر». كما يعد مؤلفهما موضوع المراجعة سابع مؤلف يتم الاستشهاد به بشكل متكرر في مناهج الكلية لدورات الاقتصاد. ولقد أسس الزوجان في عام 2003 بمعية سنديل مولانانان مختبر التطبيقات العملية لمكافحة الفقر Poverty Action Lab في معهد MIT بهدف تغيير النهج العالمي في مكافحة الفقر. ولقد سمي المختبر في عام 2005 باسم مختبر عبد اللطيف جميل لمكافحة الفقر J-PAL تكريماً لوالد محمد عبد اللطيف جميل خريج هذا المعهد ومؤسس شركة عبد اللطيف جميل ومؤسسة مجتمع جميل للتنمية الاجتماعية والاقتصادية التي تعتبر من أهم الجهات الداعمة للمختبر.

أما ثالث مزايا الكتاب فهي تتجلى في سعيه الحثيث إلى تحرير علم الاقتصاد من الأيدولوجية عبر رفع الالتباس والغموض بشأن العديد من المواضيع الشائكة. لذلك فهو يقدم إسهاماً علمياً غاية في الأهمية .

يقوم المؤلفان بمرافعة حول الأدوار السياسية والاجتماعية التي ينبغي أن يقوم بها في الأزمنة الصعبة والمناداة إلى بناء علم اقتصادي اجتماعي هائل وعظيم في خدمة البلدان النامية أساساً وباقي بلدان العالم. وللتأسيس لهذا العلم ينبغي للاقتصاديين كباحثين في العلوم الاجتماعية تقديم الوقائع وتأويلها تأويلاً صحيحاً بغية السعي إلى حسم النقط الخلافية في البرامج والسياسات الحكومية والحزبية وتكريس التفاهم المتبادل في المجتمع، ملاحظين أن ما يزيد الوضع قلقاً اليوم هو ضعف مسافة النقاش، حيث يلاحظ نوع من «القبليّة» tribalization في الآراء ليس فقط في المجال السياسي ولكن في معظم القضايا المجتمعية والحلول المقترحة بشأنها محملين المسؤولية للاقتصاديين أنفسهم في تشخيص الوقائع وتقديم وتفسير الحقائق والتوسط في حسم الخلافات ومدى قدرتهم على إفضاء قيم الاحترام والتفهم في المجتمع ولكل الأطراف .

لذلك جاء هذا الكتاب لتبني مقاربة منهجية وعلمية جديدة في مواجهة التفاوتات المتفجرة والكوارث السياسية والبيئية التي تهدد من كل حذب وصوب العالم الذي نعيش فيه، غير أن الكاتبين ما فتئا يتزودان بروح الأمل والتفاؤل فهما يعتبران أن لا شيء ضاع إلى الآن، موضحين أنه إذا كانت خيارات السياسة العامة قد قادتنا إلى ما نحن عليه، فلا شيء يمنعنا من التفكير في صنع سياسات أخرى بديلة شريطة أن تنبني على الدقة والصدق في التشخيص؛ لتبديد الغموض حول مختلف النقاط الخلافية بشأن القضايا الكبرى الملحة مثل الهجرة والتبادل الحر والنمو والتفاوت والبيئة والثورة التكنولوجية وحوكمة الدولة وبناء اقتصاد سياسي نافع. وأولى مزايا هذا الكتاب أنه يعمل على إحداث قطعية ابستمولوجية في إثارة النقاش حول موضوع قديم / جديد من حيث منهجية تناوله وواقعية عرضه المبينة على التجربة الميدانية واستقرارات الرأي. وثاني مزاياه أنه يجمع بين زوجين اقتصاديين شابين مفكرين متنوعي الثقافة والبيئة والتفكير، وإن جمعتهما نفس الجامعة .ستير دوفلو، مولودة في 25 أكتوبر 1972 في باريس، وهي اقتصادية ذات جنسية مزدوجة فرنسية أمريكية، وأستاذة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT). حصلت على العديد من الجوائز والأوسمة الأكاديمية، بما في ذلك وسام جون بيتس كلارك John Bates Clark لأفضل اقتصادي أمريكي تحت سن الأربعين، وحاصلة على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 2019 مع زوجها أبهيجيت بانيرجي، ومايكل كريم. وهي ثاني امرأة تنال هذه الجائزة، وهي أيضاً أصغر من فاز بها منذ بداية تنظيمها في 1969. كما حوّلتها أعمالها المتميزة في عام 2013 لتعمل بالبيت الأبيض بصفة مستشارة للرئيس باراك أوباما باللجنة الجديدة من أجل التنمية العالمية. أما زوجها أبهيجيت بانيرجي فهو اقتصادي أمريكي من مواليد 21 فبراير 1961 من جنس مولود في الهند ويعمل كذلك أستاذ الاقتصاد الدولي لمؤسسة فورد (المعنية بتعزيز الديمقراطية والحد من الفقر وتعزيز التفاهم الدولي) في نفس المعهد. وهما الزوجان السادسان اللذان يفوزان معاً بجائزة نوبل في الاقتصاد. وتركز أعمالهما على قضايا الاقتصاد



الذين يجب عليهم حلها ليس لديهم دافع قوي وإرادة حقيقية للقيام بذلك؟ هل هناك بعض الأمل؟

التطور المتزايد للروبوتات والتقدم الاصطناعي وتَد قَلَقًا كبيراً في مختلف الأوساط الاقتصادية والسياسية والفكرية بشأن تداعيات الثورة التكنولوجية في تضخم عدم هيمنة الكبار وأباطرة تقنيات الإعلام والتواصل.

والملاحظ أن هيمنة «الشركات المتميزة» والتي تحقق أرباحاً خيالية، حتى في وقت الأزمات والأوبئة أدت إلى خفض حصة الإيرادات المخصصة لدفع الأجور، وتميل إلى توزيع الأرباح على المساهمين بدل توجيهها لتحفيز العاملين. وهذا الوضع يثير اليأس والغضب وردود فعل عنيفة في المجتمع ليس فقط ضد التجارة، ولكن أيضاً ضد المنظومة الحالية والنخب بفعل غياب بلورة سياسة اقتصادية اجتماعية فعالة واضحة المعالم من شأنها أن تساعد الناس على تجاوز الأزمات والحفاظ على الكرامة للأفراد والجماعات.

ويرى الكاتبان أن التدخل الحكومي ضروري في عالم تسوده التفاوتات الصاروخية و«الفائز يستحوذ على كل شيء»، بالطبع يمكن استخدام الضرائب لكبح عدم المساواة في توزيع الدخل والثروة. لكن ذلك غير كاف، ومن المرجح أن يتطلب الأمر بلورة سياسة اجتماعية مبتكرة ومبدعة بموارد جديدة لتفادي تآكل شرعية الدولة، ويظل هوس الفساد جزءاً من جذور التشكك في الدولة.

ومن الإسهامات المميزة للكاتبين تركيزهما الدائم على حماية كرامة المواطنين في الأوقات العصيبة عبر مساءلة ورصد البعد النفسي للفقر وأشكال الرعاية والمساعدات النقدية. ولعل هذا التوتر القائم بين النقد والرعاية يجب أن يكون أحد الاهتمامات المركزية في تصميم السياسة الاجتماعية. إن الهدف من السياسة الاجتماعية، في الأوقات العصيبة يكمن في مدى القدرة على مساعدة الناس على امتصاص الصدمات التي تؤثر على أنفسهم. لسوء الحظ لا تزال الحماية الاجتماعية يكتنفها الغموض وعدم الجراءة اللازمة حيث يحاول الكثير من السياسيين إخفاء أضرارهم للفقر والمحرمين. حتى مع حدوث تحول في الموقف، ستطلب الحماية إعادة تفكير عميق وتوسيع مساحة الخيال.

• **الكتاب : علم اقتصاد جيد للأوقات العصيبة**

• **تأليف : إستير دوفلو وأبهيجيت بانيرجي (نوبل في الاقتصاد، 2019)**

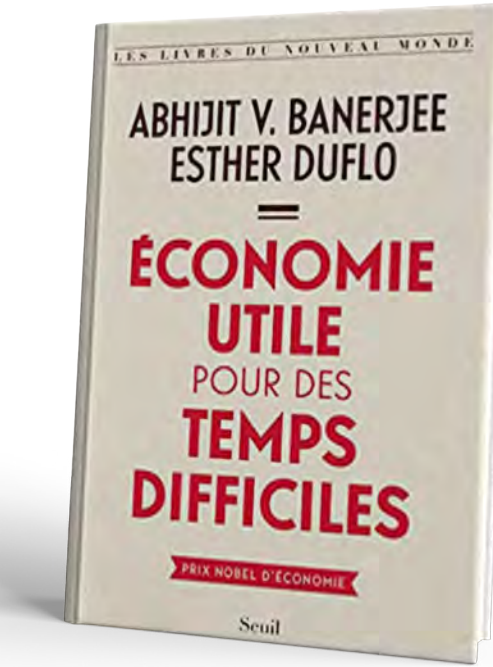
• **الناشر : دار ساوي - باريس**

• **اللغة : فرنسية**

• **سنة النشر : 2020**

• **عدد الصفحات : 544 صفحة**

* **خبير ومحلل اقتصادي مغربي**



سيتعافى مرة أخرى، أو ما الذي يجب فعله لزيادة احتمالية حدوثه. النبأ السار هو أن لدينا أشياء يجب القيام بها في هذه الأثناء ؛ هناك الكثير مما يمكن للدول الفقيرة والغنية على السواء فعله للتخلص من أفضع ممارسات التبذير للموارد التي هي رهن إشارتها والتي من شأنها تحقيق أكبر نسبة مهمة وبشكل دائم وأن تحسن رفاهية مواطنيها بشكل ملموس.

يبدو من المستحيل التفكير في النمو الاقتصادي دون مواجهة آثاره الفورية. العلماء يقرون أنه على مدى المائة عام القادمة سوف تصبح الأرض أكثر دفئاً وستكون تكاليف تغير المناخ مختلفة تماماً إذا ارتفعت درجة حرارة الكوكب بمقدار ١,٥ درجة مئوية أو ٢ ٪ أو أكثر. وفقاً لتقرير اللجنة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (IPCC) لشهر أكتوبر ٢٠١٨، عند ١,٥ ٪، ستختفي ٧٠ ٪ من الشعاب المرجانية Coral reefs. عند درجتين مئويتين، ٩٩ ٪ سيكون عدد الأشخاص المتأثرين بشكل مباشر بارتفاع مستوى سطح البحر وتحويل الأراضي الصالحة للزراعة إلى صحراء مختلفاً تماماً في ظل السيناريوهين. الإجماع العلمي الساحق هو أن النشاط البشري مسؤول عن تغير المناخ، والطريقة الوحيدة للبقاء على مسار تجنب الكارثة هي تقليل انبعاثات الكربون. بموجب اتفاقية باريس لعام ٢٠١٥، حددت الدول هدفاً للحد من الحرارة إلى حد ٢ ٪، مع هدف أكثر طموحاً يبلغ ١,٥ ٪ استناداً إلى الأدلة العلمية، وكما خلص التقرير إلى أنه من أجل الحد من الحرارة في نسبة ٢ ٪، يجب خفض انبعاثات ثاني أكسيد الكربون (CO2e) بنسبة ٢٥ ٪ بحلول عام ٢٠٣٠، مقارنة بمستوى عام ٢٠١٠ والانتقال إلى الصفر عام ٢٠٧٠. وللوصول إلى ١,٥ ٪ يجب أن تنخفض انبعاثات ثاني أكسيد بنسبة ٤٥ ٪ بحلول عام ٢٠٣٠ وإلى الصفر سنة ٢٠٥٠. ويرى الكاتبان أن تغير المناخ غير عادل إلى حد كبير حيث يتم توليد الانبعاثات في البلدان الغنية لكن الجزء الأكبر من التكلفة يحدث في البلدان الفقيرة. الشيء الذي يجعل المشكلة مستعصية على الحل، بالنظر إلى أن أولئك

ذلك يجني الغرب فوائد جمة من عائدات الهجرة. كما يتحدث الاقتصاديون عن مكاسب وفوائد التجارة في خلق الثروة، استناداً إلى واحدة من أقدم النظريات المتجددة في مبادئ الاقتصاد السياسي التقليدي، كما أوضح ذلك ديفيد ريكاردو David Ricardo، منذ قرنين من الزمن في فرضيات الميزة النسبية Comparative Advantage في التبادل التجاري.

لكن ما القول عندما تصبح الصين قادرة على إنتاج كل السلع وبكمية وفيرة مقارنة مع الآخرين؟ ألا توجد هناك مخاطر إغراق جميع الأسواق بمنتجاتها دون ترك أي شيء لتصنيعه للآخرين؟

إن اللاتفت للنظر أن ما حدث لتوزيع الدخل في السنوات التالية كان دائماً يسير في الاتجاه المعاكس لما قد يوحي به منطق Stolper-Samuelson. فقد تراجعت أجور العمال ذوي المهارات المتدنية؛ نظراً لأن المشكلة الرئيسية في التجارة هي أنها تخلق العديد من الخاسرين أكثر مما تقترحه النظرية المعنية.

ومن مميزات الإسهامات العلمية للكاتبين دعوتهم إلى بناء اقتصاد سياسي للتفضيل والرغبات والحاجات Likes, Wants, and Needs من خلال الدعوة إلى توسيع نطاق هذا العلم للقدرة على التمييز ما بين مفاهيم جديدة أصبحت تغزو المعاملات الاقتصادية والاجتماعية عبر العالم في وقت أصبح العرق هو العنصر الأساسي للقادة الشعبيين في الولايات المتحدة وأوروبا. لسوء الحظ، يلاحظ الكاتبان أن الاقتصاد التقليدي غير مجهز لمساعدتنا بالإحاطة بهذا الموضوع هنا والآن للمناقشة والتداول حول حدود ومعوقات النمو الاقتصادي وآلام وتداعيات عدم المساواة عبر اكتساب وتملك الأفكار المفيدة حول كيفية الخروج من هذه الفوضى العارمة.

لذلك يرى المؤلفان أنه ينبغي للاقتصاد السياسي الانخراط مباشرة في آراء الناس، من أجل إعادة ترسيخ صداقية الحوار العام حول السياسة والاقتصاد في محاولة القيام بما يتطلبه الأمر لتهدئة الغضب والحرمان الذي يشعر به الكثيرون، حول الهجرة والكرامة والتجارة والتكنولوجيا ومستقبل النمو وأسباب عدم المساواة وتحدي تغير المناخ ومفارقات حوكمة الدولة في خضم الأزمة والجائحة مع الاعتراف بأن الأمر لن يكون سهلاً ولا سريعاً. مادام أنه من المستحيل اليوم الحديث عن النمو وعدم المساواة والبيئة دون التفكير في الاحتياجات والرغبات، وبالتالي التفضيلات.

هناك اعتقاد اليوم راسخ عند الاقتصاديين لتبني سياسة اقتصادية على مقياس رفع معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي للبلد، على غرار تلك اللحظة المحورية التي سادت بعد الحرب الكونية الثانية إلى منتصف السبعينات من القرن الماضي أو ما يطلق عليها بالثلاثينيات المجيدة The Glorious Thirty.

غير أنه على الرغم من الجهود الجبارة لأجيال من الاقتصاديين، لا تزال الآليات العميقة للنمو الاقتصادي المستمر بعد هذه الحقبة بعيدة المنال. ولا أحد يعرف ما إذا كان النمو

إصدارات عالمية جديدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

الكتاب: نظام أمازون

المؤلف: أليك ماكجيليس
الناشر: دار سوي الفرنسية.
تاريخ النشر: 2021
عدد الصفحات: 432 صفحة
اللغة الفرنسية



يمكن القول إن الراجح الأكبر من أزمة فيروس كورونا هي شركة أمازون. مع اقتراب الوباء من أخطر لحظاته في منتصف أبريل 2020 ، ارتفعت قيمة أسهم الشركة بنسبة 30% عن العام السابق؛ وخلال شهرين فقط ، زادت ثروة الرئيس التنفيذي جيف بيزوس بمقدار 24 مليار دولار. كما يلخص أحد محلي الصناعة الرقمية الأمر: "لقد كان كوفيد 19 بمثابة حقنة لهرمونات النمو بالنسبة لشركة أمازون". بدأ أليك ماكجيليس التحقيق قبل وقت طويل من الأزمة الصحية الحالية.

كانت طريقته بسيطة وفعالة: من خلال فسيفساء من الأساليب والحياة يمكننا فهم النظام بشكل أفضل ، وكيف يؤثر على أولئك الذين يتعاملون معه. مثل التقارير الأدبية العظيمة ، يشرح "نظام أمازون" الآلة العنيفة للاستهلاك وتروسيها من خلال سلسلة رائعة من البورتريهات واللوحات.

كما يظهر كيف أصبحت الشركة في حد ذاتها لوبيًا في واشنطن ، حيث يجتمع تحت سقف قصر جيف بيزوس الضخم في حي كالوراما جماعات الضغط وأعضاء مجلس النواب، وأعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء الحكومة. كتاب مثير عن التأثير المدمر للعملاق الأصفر بابتسامته العريضة، هذا الكتاب ثمرة سنوات من التحقيق، يعرض قراءة قصة بناء مجتمع تحت قبضة الرأسمالية.

الكتاب: دروس قرن من الحياة

المؤلف: إدغار موران
الناشر: دار دونويل الفرنسية
تاريخ النشر: 2021
عدد الصفحات: 160 صفحة
اللغة الفرنسية



يعتبر الكتاب الجديد "دروس قرن من الحياة" للعالم إدغار موران، من أهم الكتب الصادرة حديثًا وقد نشرتها دار دونويل. الكتاب عبارة عن "دروس من تجربة الحياة العلمانية" التي يقدمها لنا إدغار موران. إنه يفتح على سؤال ملتهب ، وهو سؤال الهوية، بطموح جدير بالثناء وربما بسذاجة بحكم خفوت استخدامه المعاصر. بالنسبة لإدغار موران ، الهوية الحقيقية معقدة؛ لأنها "فردية وجماعية"؛ "أنا فرنسي ومن قريتي ، من أصل مهاجر وجنسية فرنسية ... إلخ. ومع ذلك ، فإن هذا كله يسبب في الوقت نفسه فرادة هويتي، لذا فإن خطأ الهوية هو أولاً وقبل كل شيء خطأ في فهم ما تُشكل منه الهوية: ربما يكون أولئك الذين جعلوها ملاذًا أو حصنًا هم من يعرفها على أقل تقدير، وأولئك الذين يملكون تعريفًا لها وقلصوها إلى كاريكاتير، انطلاقًا من أحد مكوناتها. يقدم إدغار موران عصارة تجربته العلمية في الفكر والحياة.

الكتاب: اللامساواة العالمية مصير الطبقات الوسطى ، و فائقة الثراء وتكافؤ الفرص

المؤلف: برانكو ميلانوفيتش
الناشر: دار لاديكوفيرت الفرنسية
تاريخ النشر: 2021
عدد الصفحات: 336 صفحة، اللغة الفرنسية

يقدم برانكو ميلانوفيتش بانوراما فريدة عن اللامساواة الاقتصادية داخل البلدان وعلى الصعيد العالمي. بموهبة تربوية مؤكدة ، يُسلط الضوء على القوى "المستفيدة" (الوصول إلى التعليم ، والتحويلات الاجتماعية ، والتصاعدية الضريبية ، وغيرها) أو القوى "الضارة" التي تسعى إلى (الحروب ، والكوارث الطبيعية ، والأوبئة ، وغيرها) التي تؤثر على اللامساواة. وفي هذا السياق يحدد الراجح الكبار من العولمة (أغنى 1% من البلدان الغنية ، والطبقات الوسطى في البلدان الناشئة)، والخاسرين أيضًا من (الطبقات الشعبية والمتوسطة في البلدان المتقدمة).

هذا الكتاب ، نتيجة تحليل تجريبي على مدى فترة طويلة وعلى نطاق واسع ، يجعل من الممكن على وجه الخصوص فهم التغييرات الرئيسية في مجتمعاتنا. في الواقع يعتبر برانكو ميلانوفيتش أكثر من مجرد خبير اقتصادي مطلع على أسرار وكواليس الاقتصاد العالمي، فهو منتج لمعرفة علمية تستفيد من ثقافة شاملة ، تظهر بعمق تشابك العوامل الاقتصادية والسياسية. ويعزز ذلك بتصور أن الاقتصاد العالمي مازال يemor ولم تحسم كثير من الأشياء. لهذا يقترح عوض ردود الفعل الدفاعية ضد العولمة المستبدة ، تأهيل الدولة للقيام بدورها التوزيعي ، ويدافع عن سياسة هجرة أصلية ومنفتحة وواقعية.

